قضايا ناصرية

حاتم صادق



حاتم صادق

قضايا ناصرية

هـذا الكتـاب

يتعرض هذا الكتاب لعدد من القضايا الناصرية بالدراسة والمناقشة ، فى مقدمتها قضية الكيان الصهيونى الدخيل الذى غرس فى قلب الوطن عنوة ، وموقف جمال عبد الناصر منه ، **ورؤيته لقضية الصراع الاسرائيلى التى ما زالت من ابرز القضايا** والتحديات التى تواجه الواقع العربى حتى الآن ، وسوف تظل كذلك الى سنوات قادمة ..

كما يتعرض ايضا الى بعض قضايا العمل الداخلى وفى مقدمتها قضية التحول الاشتراكى التى قادها عبد الناصر ، ولم يمهله القدر حتى يتم البناء ، ويشيد الصرح كاملا وان كان قد ترك قاعدة اقتصادية صلبة ... زراعة .... وصناعة ... انتاجا وخدمات ، ووضع من الأسس ما يجعلها تحت سيطرة الشعب وفى خدمة أهدافه فى التقدم ، محققة العدالة الاجتماعية ، محررة الطبقات العاملة من كل سيطرة حتى تنطلق فى أداء دورها ، مالكة لأدوات الانتاج فهى صاحبة المصلحة الاكيدة فى الثورة وفى التقدم كما أنها الاغلبية التى طال حرمانها ..

ولقد حققت الثورة الناصرية للطبقة العاملة آمال سنوات قضتها فى الظلم والاستغلال ، فوضعتها فىمكانها الصحيح حتى وصلت الى موقع التشريع ، والمشاركة فى الادارة والربح .

والحقيقة انه يصعب فى هذه السطور القليلة حصر منجزات عبد الناصر فى كل مجالات العمل الوطنى الداخلى ، والعربى ، والخارجى ، الا أن الكتاب يعرض اجزاء سريعة منها ، جديرة بالدراسة والبحث والتأمل .

كما يتنــاول الكتــاب فصــلا عن طريقة عبد النـاصر ، وأسلوبه الفريد فى العمل وتفكيره الدائم فى قضايا الجماهير ، الذى تلازم مع اهتماماته الكبيرة بكل ما يدور فى الوطن العربى ، بـل وفى العـالم أجمع ٠٠٠

وقبيل غياب عبد الناصر ، كانت مـدافع مصر مستنفرة لحرب استنزاف مع العدو الاسرائيلى أعلن أنها المرحلة السـابقة لمرحلة تحرير الأرض العربية كلها ٠٠ القدس ٠٠ والجولان ٠٠ قبل سيناء

وليس هناك من هو أقدر من الاستاذ حاتم صـادق فى تقديم هذه الرؤية ٠ فقد كان قريبا من جمال عبد النـاصر بحكم موقـع عمله فى رئاسـة الجمهورية ثم فى مكتب الرئيس للمعلومات ثـم مديرا لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجيـة فى مؤسسـة الاهرام ٠ وهـو المركز الذى تخصص فى قضـايا الصراع العربى الاسرائيلى وامتدت اهتماماته لتشمل كل الجوانب الاستراتيجية لمـا يدور فى المنطقـة العربيـة ٠

ورأت دار الموقف العربى أن تعيد نشر عـدد من المقالات التى كتبهـا الاستاذ حاتم صـادق ونشرت فى مناسـبات قوميـة وتتناول قضايا ناصرية ، وعرضـا لفكر عبد الناصر تجـاهها ، لتستكمل بها ما صـدر ويصدر عنهـا فى القضايا الوطنية والقومية الى تشكل فى مجموعها قدر مصر ومستقبلها ٠

واذا كانت هـذه المقالات قد كتبت فى مناسبات متعـددة كانت من بينهـا مـاسبات وحدويـة بين مصر وشقيقاتها ٠٠ أو الحماس لبعض منها كالوحدة بين مصر وليبيـا فـان ذلك لا يعنى بشكل مباشر او غير مباشر اننـــا لا نتحمس لكل عمل وحــدودى على الأرض العربية بامتداد الوطن الأكبر بعـد ميثـاق طرابلس وحتى اليوم فقد كان ذلك اسمى أهداف عبد الناصر ٠

دار الموقف العربى

الاستثنائي

عبد الناصر .. كيف كان يعمل ؟

هذا المقال ليس تاريخا .. انه نظرة سريعة شاملة على أسلوب عمل جمال عبد الناصر قبل وبعد ١٩٦٧ بالذات .. نظرة لاتقترب من تفصيل الا اذا كان التفصيل عاملا بارزا أثر فيه بوضوح .. والنظرة الشاملة تصبح ضرورة حين يتناول مقال — لاكاتب — أسلوب عمل رجل له عديد من الصفحات فى نفس الوقت .. فحين يكون الزعيم والسياسى والقائد والانسان شخصا واحد فى النهاية ، بشخصيته المتفردة ، ونمط تفكيره المتميز ، وارادته التى تحول الامال فى ضمير امته الى حقائق ، .. عند ذلك تكون النظرة الشاملة هى وحدها القادرة على ان تتناول حياة الرجل الاستثنائى فى اية امة من كل هذه الجوانب ... (١)

---

(١) مقال فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٧١ .

قبل السابعة صباحا كان يستيقظ ...

ومع « كوب » من الشاى يشربه بحبوب « السكارين » كانت تدخل له الطبعات الثلاث من صحف القاهرة .

كان يقرأ الصحف جميعا ، أخبارها ، مقالاتها ، وتعليقاتها وكان يقارن بين الطبعات المختلفة من كل صحيفة ، وكثيرا ماكانت له ملاحظات عليها .

أحيانا كان يطلب اعادة نشر خبر صدر فى الطبعتين الثانية والثالثة من صحيفة ولم يظهر فى طبعتها الاولى . فيطلب اعادة نشره فى الطبعة الاولى من اليوم التالى ليطلع عليه قراء الصعيد الذين تصلهم الطبعة الاولى من الصحف ، والذين فاتتهم قراءة الخبر فى اليوم السابق .. وكانت معظم هذه الاخبار التى يطلب اعادة نشرها تتعلق بالعمليات العسكرية المصرية .

ثم كان يرفع سماعة التليفون بجانب سريره ويبدأ الاتصالات ..

كان يطلب مكتبه ليعرف آخر الاخبار والتطورات الداخلية ، ثم يطلب وزير الحربية ليقف على ما يمكن ان يكون قد جد فى الساعات ما بين نومه واستيقاظه ، ثم يطلب من عملوا معه عن قرب ليقف على آخر احداث العالم .

وبعد هذا الموجز كان يخرج الى الصالة العلوية فى منزله ليجلس — وبجانبه السيدة الجليلة قرينته — ليتناول افطاره مع فنجان آخر من الشاى .

وبعد دقائق كان يدخل حجرة مكتبه ويبدأ عمله .

كانت أكوام الأوراق — التى تصله من اكثر من مكتب من مكاتبه — تدخل اليه ثلاث مرات يوميا : فور استيقاظه ، وفى الثالثة من بعد الظهر ، وفى السادسة مساء .. الا فى المسائل

البالغة الاهمية فتلك كانت تصله فورا وفى اى وقت .. وكان يبدأ بتلك الأوراق التى يضمها غلاف لصق عليه طابع أحمر اللـــون يحمل كلمة « افضلية » أو « عاجل جدا » .

وكانت سرعة قراءته لافتة للنظر .. فقـد درب نفســـه على هذه الطريقة التى لم تكن تؤثر على درجة استيعابه لما تحويـــه السطور التى تمر عليها سريعا عيناه .

وكان التليفون من اهم وسائله فى العمل .

كان يدق كثيرا ليجد على الطرف الآخر مسئولا يبلغ عن شىء أو يستفسر عن موقف .

وكان هو دائم الاتصـال : كان يعتبر ــ ويقول ــ أن الوزيـــر المختص هو مستشــــاره الأول فى المجـــال الــذى يتولى الوزير مسئوليته .. وكان اتصـاله مباشرا بالوزراء وبمن يعتبرون مسئولين مباشرين فى الموضوعات التى يكون لديه استفسار يسأل عنه أو توجيه يبلغه .

وكانت بعض مكالماته تزيد على الســـاعة .. وتلك كانت هى المكالمات التى يكون على الطرف الآخر من الخط واحد ممن كـــان يثق فى قدراتهم ويناقش معهم المسائل الكبرى التى تتصل بمواقف هامة وامكانيات التحرك المتاحة خارجيا أو داخليـــا .. وغالبـــا ماكانوا من خارج الجهاز التنفيذى . وكـــان هؤلاء ــ فى رأيه ــ مفيدين بأكثر من فائدتهم لو انضموا لاجهزة تنفيذية لانهم :

« متحررون من السيطرة الفكرية والعملية للجهاز البيروقراطى، ومتحررون من قيود المنصب وما تفرضه ــ بشعور منهم أو بغير شعور ــ على تفكير المسئول التنفيذى » .

والى جانبه كان هناك دائما جهاز الراديو . آلة اخرى كان اعتماده عليها شديدا .. وطوال اليوم يظل مؤشر « المحطات » ينزلق يمينا ويسارا بين اصابع خبير بموضع محطات اذاعة العواصم العالمية ومواعيد نشرات أخبارها ..

لقد كان صوت جهاز الراديو فى حجرة مكتبه او حجرة نومه جزءا لا يتجزأ من وجوده فى أيتهما .. وفقط ـ بعد الرحيل ـ صمت جهاز الراديو بجانب سريره : بعد أن سمع فيه ولآخر مرة ـ بينما الأطباء من حوله فى مساء ذلك اليوم الحزين ـ نشرة اخبار الخامسة بعد الظهر .

وفى الثالثة تماما من بعد ظهر كل يوم كان يخرج من حجرته الى مائدة الغداء حيث تجتمع عائلته .. كان حريصا على هذا الموعد، وكان الكل كذلك لان رب العائلة يجد فى هذا الوقت الدقائق التى يستطيع فيها أن يكون بين أولاده .

وبعد الغداء كان يتجه الى حجرة نومه ليستلقى قليلا ..

وعلى مدى ساعتين تقريبا كان يقرأ صحف العالم : الصحف العربية والبريطانية والامريكية وتقارير وكالات الأنباء ، وترجمات يعدها مكتبه للصحف الفرنسية والسوفيتية .

وأحيانا كان ينتقى الاعداد الحديثة من بعض المجلات التى كان يواظب على قراءتها ومنها : المجلات المتخصصة فى التصوير وآلاته ومجلات الطيران والاسلحة المختلفة فى القوات المسلحة .

وفى هذه الفترة كان كثيرا ما يدخل اليه أفراد عائلته فرادى يتحدثون معه ، او يجلسون فى صمت اذا كان منهمكا فى القراءة .. وكان ذلك هو الوقت المحبب لحفيديه : جمال وهالة ليندفعا الى حجرته فى طلب بعض الحلوى .

ثم كان ينهض ويرتدى ملابسه وينزل الى حديقة منزله ليمشى فيها وقتا محسوبا حدده أطباؤه . وغالبا كانت السيدة الجليلة قرينته ترافقه فى رحلته اليومية القصيرة بين الاشجار التى كان يهتم بها .

وفى كل يوم كان عليه ان يستقبل ما بين ثلاثة الى خمسة أشخاص . وكانت بعض هذه المقابلات تجرى فى الصباح وبعضها فى المساء . ولم تكن جميع مقابلاته رسمية ، فكثيرا ما كان يلتقى بمسئول ، أو بأحد من عملوا معه عن قرب ، لمناقشة موضوع وأراد ان يتناوله بالمناقشة تفصيلا .

ثم يرجع الى العمل فى حجرة مكتبه بين الاوراق والتليفون والراديو حتى يحين موعد العشاء فى حوالى العاشرة . فيتناوله سريعا ليمضى فى العمل حتى ساعة متأخرة من الليل ، أو ليبدأ فى قراءاته التى تمتد لساعات (وكان يقرأ عدة كتب متنوعة الموضوعات فى نفس الفترة : فى الاقتصاد والسياسة والأديان والاعمال الأدبية المصرية والاجنبية) ، أو ليرى — فى بعض الاحيان — عرضا سينمائيا لأحد الافلام مع أولاده . وكان يفضل الى جانب الافلام ذات المضمون والأداء المرتفع ، وفى حالات معينة حين يكون ذهنه مكدودا ، نوعا من الافلام الخفيفة ، لانه فى هذه الحالات — وعلى حد قوله — كان يتفرج على الفيلم ولا يراه .. فقد كان العرض السينمائى بالنسبة له « وسيلة لاراحة عقله من التفكير وليس لبذل مزيد من الجهود فى المتابعة والتفكير والاهتمام» ، أو فترة استراحة يعود بعدها الى العمل حتى الساعات الاولى من الفجر ..

كان له طابعه المتميز فى العمل .. مجموعة من الصفات التى تعكس شخصيته وقدراته ميزت اسلوب عمله واعطته ذلك الطابع الخاص به ، الذى كان يظهر من خلال ساعاته الطوال فى العمل ، ومناقشاته المستمرة ، وتأشيراته اليومية .

كانت قدرات جمال عبد الناصر تتبدى فى وضوح فكره .. كان قديرا فى تحديد هدفه الاستراتيجى البعيد المدى ، وحساب خطواته فى الطريق اليه ، والتقدير الدقيق للطاقة والقدرات الايجابية المتوافرة له وما يمكن ان يطرأ عليها من تغيير — بالاضافة او النقصان — خلال كل مرحلة وعند كل خطوة يخطوها نحو تحقيق الهدف البعيد الثابت والمرسوم .. وكان هذا الوضوح الفكرى يمكنه من أن يحسب بدقة بالغة توقيت تحركه واتخاذه لقراره .. فكان يسرع احيانا ، ويبطىء أحيانا ، يهاجم فى بعض الاحيان ، ويعمد الى الدفاع فى أحايين اخرى .

وارتبطت بمهارته فى ضبط ايقاع تحركه وفقا لحساباته الدقيقة، قدرته على متابعة التفصيلات العديدة فى موضوعات كثيرة ، دون أن يفتقد الصلة بين التفصيل والاصل . بين الفرعيات والكليات .. ومن هنا كانت تأتى قراراته فى حل مشكلات تعد فرعية ، غير متعارضة مع الخط العام الذى يسير عليه .

ولم يكن جمال عبد الناصر يعرف اليأس . كان ايمانه بقضية يقوم على اقتناع اكيد بها ، ومن هنا لم تكن للصعاب آثارها على عزيمته . وفى هذا المجال كان متميزا بقدرته على الخروج من الطرق المسدودة بفكرة أو تحرك أو انجاز جديد .

فحين ذهب الى مؤتمر القمة العربى فى الرباط — مثلا — كان هدفه ان يضع جميع الدول العربية أمام التزاماتها فى وقت بدا فيه ان الجماهير العربية تائهة وسط حرب التصريحات العربية . وفى الرباط واجه جمال عبد الناصر الجميع .. حدد متطلبات المعركة مع اسرائيل ، وبين ضخامة عبء الاستعداد ، واختتم كلامه بان دعا كل من يريد الاسهام ان يتقدم على شرط أن يحدد قدر اسهامه . وكشف المؤتمر ما كانت تميعه المواقف الكلامية .

ولكن ما انتهى اليه مؤتمر الرباط ، وضخامة حجم الاستعداد المصرى المطلوب ، لم يفقده الثقة فى قضيته .. نخرج من قاعات مؤتمر الرباط الى قاعة الاجتماعات فى طرابلس — وهناك حدد استراتيجيته ، وطرح فكرة اتحاد الجمهوريات العربية ليوسع الجبهة امام اسرائيل ويزيدها عمقا استراتيجيا ويضيف اليها اتساعا جغرافيا .

وكانت حدة الذاكرة من السمات التى ميزت جمال عبد الناصر . كان فى كل موضوع يلم بتفصيلات دقيقة ساندت حججه فى مناقشاته مع المتخصصين فى كل موضوع ، ودعمت توقعاته عن التطورات القادمة وزادت وضوح الرؤية أمامه عند اتخاذ القرار .

وعبر عن ذلك احد المسئولين اليوغوسلاف من اعضاء الوفد الرسمى الذى اشترك مع الرئيس تيتو فى المباحثات خلال احدى زياراته للقاهرة ، حين قال لعضو بالوفد المصرى :

« اننى لا اتمنى ان اعمل ابدا مع الرئيس عبد الناصر .. ان له ذاكرة تمكنه من الحديث فى كل موضوع من بدايته حتى آخر تطوراته مرورا بجميع تفاصيله .. اننى واثق اننى لو وعدت يوما فى عملى بانجاز شىء فسوف يحاسبنى عليه ولو بعد سنوات » .

ولم يكن المسئول اليوغوسلافى يعلم مدى صدق شعوره .. فيعدها وجه جمال عبد الناصر يوما سؤالا فى اجتماع لاحد مجالس الوزراء قال فيه :

« لقد قرأت تصريحات عدد منكم ادليتم بها للصحف على مدى بضعة اشهر .. واننى اود ان اسأل : كيف ستنفذون كل هذه الوعود ؟ لقد تحدث بعضكم — فى مراحل زمنية متباعدة — عن مشروعات لو جمعناها لوجدنا انها بالقطع تفوق قدرات وزارته! .

وكان جمال عبد الناصر يفضل قراءة مايحتاج الى اختزانه فى ذاكرته على ان يسمعه : وكان يقول : « اذا قرأت شيئا فاننى لا انساه » ولذلك كان يطلب عند عرض موضوع عليه أن يكون العرض شاملا كل التطورات والتفصيلات .

ولم يكن جمال عبد الناصر يحب ان يسمع من أحد العاملين معه كلمة « أظن » حين يوجه الى احدهم سؤالا .. وكان يقول لمن يبادره بهذه الاجابة : « اذا كانت المسألة مسألة « أظن » فأعتقد اننى قادر على ان « اظن » جيدا .. ان ما اريده هو اجابة محددة : أما بنعم أو بلا ، وأما بأنك لا تعلم وسوف تدرس الموضوع » .

وكان من يلتقى بجمال عبدالناصر يلحظ على الفور انه مستمع ممتاز .. كان يستمع الى محدثه بكل جوارحه ، ولا يقاطعه ، وكان اهتمامه يزداد ويبدو واضحا حين يتناول محدثه موضوعا أو تصرفا بالنقد ، أو حين يسوق فى حديثه اقتراحا » .

وتميز جمال عبد الناصر باتساع وتنوع الدائرة التى يعمل فيها ذهنه طوال النهار . كان فكره خلال اليوم الواحد يجول ويتمعن ويدقق فى موضوعات بغير عدد . وكان يحتفظ بجانب سريره بنوتة يدون فيها بعض ما يدور فى ذهنه ، أوبعض انطباعاته عن أحداث صغيرة تمر . ونظرة على ما ورد فى نوتته تحت تاريخ اى يوم تؤكد ذلك التنوع غير الطبيعى فى اهتماماته وفيما يفكر فيه من موضوعات .

وبعد ان اصيب بالازمة القلبية الاولى — فى سبتمبر ١٩٦٩ — احضرت له كبرى بناته جهاز تسجيل صغيرا لكى يسجل عليه ما يشاء من ملاحظات أو أفكار أو أوامر تنفيذية — وخاصة خلال ساعات الليل الاخيرة — بدلا من ان يضطر الى القيام فى كل مرة ليسجل ملاحظة أو خاطرا . ولم يكن جمال عبد الناصر يحب أن

يغير من عاداته ، وظل جهاز التسجيل الصغير فى مكانه كما هو . ولكن فى احد الايام بدأ يستخدمه .. ولم يستوقف نظر احد يومها، أنه اذا كان قد فعل ، فلأن القيام والجلوس عدة مرات خلال الليل كان قد بدأ يتعبه .

ككل بشر ، وكطبيعة الانسان ، كانت هناك عوامل محددة تؤثر على تفكيره بأكثر من غيرها . عوامل يمكن للمرء ان يجدها تطل من خلف قرار يتخذ ، أو تصرف يؤتى ، أو تعليق يقال أو مناقشة هادئة تدور ، أو تأثر من موقف معين .

ومن بين العوامل التى اثرت فى فكر جمال عبد الناصر — وكأمثلة بغير حصر لا يميزها سوى ان العين المتتبعة ما كانت قادرة على ان تخطئها — كان « المواطن العادى » ، « المصرى » كان « الرجل العادى » و « الاسرة العادية » محور تفكيره . وكان دائم الربط بين كل قرار وبين تأثيراته على الاسرة المتواضعة ، وعلى عدد من سيشملهم القرار منهم .

وقبل الرحيل بأيام ، وبينما هو عائد من آخر لقاء له مع الرئيس معمر القذافى فى مرسى مطروح ، وبينما القطار يقترب من منطقة برج العرب ، سألته السيدة الجليلة قرينته وهى تشير الى أراض خضراء مزروعة وسط الصحراء : هل هذه هى أراضى مشروع تعمير الساحل الشمالى ؟ ، » وأجاب جمال عبد الناصر يومها برنة حزن فى صوته :

« كلا .. ان هذه أراضى لا تزال تزرع بمياه الآبار .. انظرى الى هؤلاء الصبية من البدو اترين كيف يمشون حفاة فوق الرمال الساخنة ؟ نحن لم نصل بعد لما اريد .. ان هدفى ان يكون كل هؤلاء مثل خالد .. » .

وبعد لحظة صمت قال بصوت خافت وكأنه يكلم نفسه :

« علشان دول انا باشتغل » .

وكانت الجماهير العربيـــة من عوامل التأثير الملموســـة على تفكيره .. فقد كان يشعر دائما انه مرتبط بها ، وكان يقـــدر ان الجماهير العربية لم تخذله ولم تتخل عنه يوما . وكان يشعر أن حجم التحديات ضخم امام مصر ، وانه بدور مصر فى العالم العربى يمكن مواجهة التحدى ،وان دور مصر مرهون بمـــدى التزامهـــا بمبادىء اعلنها واجمعت الشعوب العربية على الايمان بها .

وخاض جمال عبد الناصر معاركه الكبرى خلال ١٨ عاما بالملايين المصرية والعربية .. فهنا كانت تكمن قوته ، وهنـــا كانت تتمثل دقة موقفه .. موقف الزعيم الذى تتعدى آثار كلماته الحـــدود السياسية لبلده لتحدث من التأثيرات خارجها ما يحسب نقـــاطا لصالح موقفه فى المعارك التى يخوضها .

وكان عداء عبد الناصر للاستعمار راسخا ، وظلت كراهيتـــه لكل ألوان الاستعمار عاملا بارزا فى التأثير عليه . وكانحديثـــه عن سياسات الولايات المتحدة يعكس دائما طبيعة علاقـــة تزيـــد كثيرا عن مجرد التحدى . وكان كثير الشك فى كل تحرك لدولـــة استعمارية ، كان يفكر طويلا بعمق فيما وراء كل تصرف تأتيـــه .

كان يشعر تماما أنه يخوض مع الاستعمار معركة بقـــاء .. امـــا الاستعمار واما هو ، امـــا الاستعمار ايا كـــان شـــكله واما مصر والمنطقـــة العربية متحررة .

وعبر جمال عبد الناصر مرارا عن نظرته للسياســة الامريكيـــة فقال لكبير مراسلى مجلة « لوك » الامريكية فى حـــديث له منـــذ ١٤ يونيـــو ١٩٥٧ :

« اننا فى مفترق الطرق فى علاقتنا مع الغرب الآن ، واننى اقترحت ان تحاولوا انتم معشر الامريكيين الحصول على معلومات صحيحة عن هذا الجزء من العالم ، لا تكونوا سطحيين ، ان من صالحكم ان تفهموا طبيعة الشرق الاوسط .

هل تثق فى شخص يتعقبك والمسدس فى يده ؟ لقد هوجمنا من حلفائكم ، وهددنا دالاس ، وانا اتابع الطريقة التى تهاجمنا بها صحف الامريكية . وفى رايى انكم تجعلون من الصعب على ان فى بكم :

وتميز جمال عبد الناصر بانه كما يصل الى القمة فى عمله وتفكيره كسياسى ورجل دولة حين يشعر بالتحدى . كان التحدى يشحذه على مضاعفة الجهد ، بل كان الشعور بالتحدى هو المناخ الافضل – من وجهة نظره – وهو يعمل .. وكان يقول :

« انا أحسن وقت لى وانا باشتغل انى احس بالتحدى .. اذا شعرت بالتحدى فانني أعمل بطاقة مضاعفة وبذهن متنبه ولا اشعر بالساعات المتعاقبة فى العمل » .

كانت المباحثات – رسمية كانت او غير رسمية – تستغرق من وقت جمال عبد الناصر وجهده الكثير .. كان يعد كل كلمة ، ويرتب افكاره ، ويمعن الفكر فى كل ما سيقول تفصيلا . وكان يكتب بنفسه النقاط التى سيتحدث فيها لتكون امامه فى المباحثات .

وكان يبدأ « بالعرض العام » الذى يشرح فيه الموقف كما يراه ، ثم ينتقل الى نقاط معينة يركز عليها لانه يرى أهميتها . وكان حديثه فى عرض الموقف يستغرق الجلسة الاولى بأكملها ، ولعدة ساعات ، فى بعض المباحثات الهامة .

وتبين الوثائق بخط يده كيف عرض لتصوره للصراع العربى الاسرائيلى فى يونيو ١٩٧٠ فى اجتماعات طرابلس ، ثم انتقل الى تقديم اقتراحات محددة . وكانت اقامة الجبهة الشرقية حينئذ هى معركته الحالية ، والتى ـ للاسف ـ هوت الآمال فى قيامها مع رحيله .

وكانت العشرات من جلسات المباحثات غير الرسمية تجرى أسبوعيا خلال مقابلاته .. منها ما كان فى الصباح بين الحادية عشرة والثالثة بعد الظهر ، ومنها ما كان فى المساء ما بين الخامسة والتاسعة .

وكانت مقابلاته عديدة متنوعة : من رؤساء وملوك من ضيوف القاهرة ، الى مسئولين وسياسيين مؤثرين فى سياسات دولهم سواء من موقع السلطة أو المعارضة ،الى صحفيين ورجال أعلام. وكان عليه دائما قبل كل مقابلة لمن لم يلتق به من قبل ان يقرأ عن حياته ونشاطه السياسى وهواياته ومؤلفاته ... الخ .

وكانت من الوقائع التى كان جمال عبد الناصر يرويها فى هذا الخصوص : يوم ان استقبل احد كبار مقدمى برامج التليفزيون الامريكى لتسجيل حديث معه .. وبينما الفنيون منشغلون بالاستعداد وضبط الاضاءة ، سأل الضيف الامريكى الرئيس قائلا: « سيادة الرئيس اود ان اسألكم خلال الحديث المسجل عن حرية الصحافة فى مصر ومدى تدخل الدولة فيها فهل تسمحون لى بذلك؟ .

واجاب الرئيس على الفور :

« اذا سألتنى هذا السؤال فسوف اجيبك ولا تظن ان شيئا أو موضوعا يمكن ان يحرجنى . سوف اثبت لك ان لدينا من حرية الصحافة ما يفوق تلك التى تتحدثون عنها فى الولايات المتحدة ، والتى تكاد أن تندثر امام ضغوط المؤسسة الصناعية العسكرية

وامام النفوذ الصهيونى . وفى نهاية سؤالى سوف اقول انك كنت ضابط مخابرات امريكى سابق قبل احترافك الاعلام مهنة » .

واسقط فى يد الضيف الامريكى وظل ساهما يفكر .. ثم بدأ التسجيل . وعبر الامريكى السؤال ولم يحاول اثارته !

كانت شئون القوات المسلحة – فى السنوات التى تلت معارك ١٩٦٧ – هى التى تستغرق الجزء الاعظم من ساعات عمله التى تراوحت ما بين ١٤ الى ١٨ ساعة يوميا .

كانت التقارير العسكرية لها الاولوية فى قراءاته ، وكانت مقابلات العسكريين تتصدر قائمة سكرتيره الخاص الذى يكون فى استقبال زوار عبد الناصر ، وكان التليفون يستخدم عدة مرات يوميا فى الاستفسار عن الدفاع الجوى والطيران والمدرعات والروح المعنوية للجنود .

بل وكان التليفون – الى جانب التقارير – يستخدم فى ابداء الرأى والملاحظات فى عمليات العبور وفى القوات التى ستقوم بها، وفى هدفها ، وتسليحها ، وقادتها .

وفى اليوم الذى كان يجري فيه عبور قوة مصرية الى سيناء لتنفيذ مهمة ، كان جمال عبد الناصر يظل ساهرا طول الليل حتى تعود القوة ... وكان اول سؤال يباشر به محدثه هو : ما هى الخسائر ؟ كان حزنه شديدا ، كان يتألم بعمق ، حين يعرف أن ضابطا أو جنديا قد استشهد .. وحين كان الطيران يكلف بمهمة أو يتصدى لاغارة ، تظل أعصاب جمال عبد الناصر مرهفة لكل نبأ ولكل دقة تليفون ولكل ورقة تصله وتتصدرها كلمة « عاجل جدا » أو « سرى للغاية » .

وكان يظل يومه كله حزينا اذا استشهد احد طيارينا . واذا فقد طيار ، أو شوهد وقد هبط بمظلته فانه يظل يتابع عمليات البحث عنه حتى يعرف النتيجة ، ويرفض تأجيل البحث عنه حتى لو هبط الظلام ..

ولم يكن جمال عبد الناصر ينظر الى الجيش كأسلحة تدخل المعركة ، وانما كان — وربما بحكم كونه ضابطا سابقا ، أو بحكم عواطفه الجياشة بطبعها أو بحكم نظرته الى الفرد والانسان كمحور لكل شيء — كان يرى في الجيش أفرادا ، مواطنين ، بشرا ، يحبون ويكرهون ، يفرحون ويموتون ، وكان يرى فيهم عائلات مصرية تحزن لفقد عزيز لديها .

وفيما بعد ١٩٦٧ كانت اجتماعاته بالقادة من الضباط تعقد شبه اسبوعية . وكان يعقد اجتماعات تصل الى مستوى قادة السرايا فى بعض الاسلحة ليسمع منهم ويناقش معهم .

ويخطىء من يظن أن جهد جمال عبد الناصر فى إعادة بناء القوات المسلحة تسليحا وتدريبا وتنظيما كان جهد القائد الأعلى . لقد أعطى — منذ النكسة — كل ايامه للجيش . كان يسمع ويفكر ويمارس — بالفعل — دور القائد العام للقوات المسلحة : ولقد كان هو — على سبيل المثال الذى وضع خطة عمل نظام دفاعنا الجوى — وهى الخطة التى وقف عندها العسكريون والمعلقون العسكريون الاسرائيليون طويلا وتناولوها فى صحفهم بالتحليل — قبيل وقف اطلاق النار فى اغسطس ١٩٧٠ . وقد وضع الخطة فى اجتماع له بقادة سرايا الدفاع الجوى . وكانت هى الخطة التى اثارت الدنيا حين اسقطت اجهزة دفاعنا الجوى حينئذ ١١ طائرة فانتوم وسكاى هوك خلال الشهر السابق مباشرة على وقف اطلاق النار .

كان عبد الناصر طول يومه شعلة من الحياة . كان متنبها يقظا، يحارب ويقود ، سريع الاستجابة لكل حركة ونطق . ولم يكن شيء يعادل فرحته يوم ان قـــرر أنه يستطيع أخيرا ان يغادر القاهـــرة الى مرسى مطروح ليقابل القذافى هناك ولا يكون عليه فى كل ساعة ان يرفع سماعة التليفون ليتابع حدثا خطيرا كان يجرى .. فيومها قال وبريق يشع من عينيه :

« أخيرا أستطيع مغادرة القاهرة .. لقد أتممنــا اليوم بنــاء شبكـــة دفاعنا الجـوى على سماء مصر كلها » !!

كانت هناك علاقة « خاصة » بين جمال عبد الناصر والجماهير .. كانت الجماهير بالنسبة له تمثل الكثير .. كان يرى فيها من يعمل من أجلهم ، وكانت آماله دوما هى آمالها ، وكان يذكر دائمـا أن هذه الجماهير وقفت وراءه فى ساعات الهزيمة كما هتفت مـــن حوله ايام النصر .

وكان التقاء جمال عبد الناصر بالجماهير فى الشوارع يؤثر فيـــه بأكثر ما يمكن التصور .. كان يعود من كل استقبال شعبى خرجت فيه الالاف لتحيته ، بنظرة يملؤها الامل والثقـــة ، وكان من يقابله لحظتها يحس انه قد زود بشحنات اضافية من الاصرار والمثابرة.

ولم يكن عبد الناصر يرى الجماهير والمواطنين والمارة كمـــا يراهم غيره .. كانت له ــ حين يراهم ــ ملاحظات بالغـــة الدقة تنبع من زاوية معينة ينظر منها اليهم .. ففى الايام التى اتيح لـــه ان يخرج فيها الى الشوارع سواء فى موكب رســـمى ، أو بغـــير رسميات وهو جالس فى سيارة بجانب سائقها . كـــانت عينـــاه تتعلقان دائما بالمارة : .. هل الناس تضحك أم « مغمومة » على حد تعبيره ؟ هل يلبس الاطفال فى الشوارع أحذية أم يسيرون « حفـــاة » .

وحين كان يرجع فى بعض أيام الصيف من اجتماع انتهى فى ساعة متأخرة من الليل ويرى بعض الطلاب فى الميادين العامة يستذكرون دروسهم تحت أعمدة النور فانه لم يكن يجد فيهم منظرا عاديا عابرا ، وانما كان يرى فيهم عائلة كبيرة فى مسكن من حجرة أو اثنتين وطالب يحاول الاستذكار فيجد فى مشكلات البيت اليومية وضوضائه ما يعطله .

وحين كان يركب القطار الى الاسكندرية أو أسوان ، كان ما يسترعى انتباهه هو عدد المصانع فى كل منطقة يمر بها ، ومدى تأثيرها وتأثير توافر فرص العمل على سكان المنطقة وفلاحيها .

وكان سعيدا يوم ذهب بالقطار الى أسوان (فى فبراير ١٩٧٠) ليستقبل الرئيس تيتو هناك . فيومها راى — لاول مرة — أعمدة النور تحمل كهرباء السد العالى الى قرى صغيرة فى صعيد مصر . وبدت ملامح وجهه لحظتها تعكس مشاعر رجل يعيش حلما يتحقق.

وكان عبد الناصر فخورا بشعبه .. كان يشعر بالعزة لانتمائه له .. وخلال الاشهر التى عمد فيها الطيران الاسرائيلى الى ضرب العمق المصرى ، والاهداف المدنية المصرية ، كان جمال عبدالناصر يتمزق حزنا .. وكانت كلمة « لهم يوم »تخرج من بين شفتيه تحمل صدى الألم مختلطا برنة الاصرار والحزم .. وحين كان يقرأ تعليقات صحف الغرب واسرائيل تتوقع « ثورة الجماهير » تحت ضغط القنابل أحيانا ، وتبدى دهشتها من استمرار الحياة العادية فى أحيان اخرى ، كان يقول :

« أنا بعرف الشعب المصرى .. احنا عندنا روح التحدى .. ولا يمكن الناس تتأثر من ضرب القنابل » .

وكان جمال عبد الناصر يهتم بلقاءاته مع الجماهير .. وفى مثل المناسبات ، حين كانت عيون الملايين تتابعه واقفا وراء

الميكروفون ، بقامته المديدة ، معتدا بنفسه ، واضح الصوت ، حاد النبرات ، فان كـــلا من هذه الخطابات كان يأخذ منه مجهودا ما بين يومين وثلاثة أيـــام .

وكان يحدد الموضوعات التى سيتحدث فيها قبل بضعة أيـــام من القاء خطابه ، وتدون النقاط التى سيتعرض لها فى كتمته ، ثم ترسل لتكتب على الآلة الكاتبة • وفى ظهر اليوم المحدد لالقاء خطابه ، كان يقرأه مرة أخرى ويضيف عليه بقلمه وخطه •

وفى المناسبات الرسمية وحدها — وخاصة امام مجلس الامة — كان جمال عبد الناصر يتقيد بحرفية الخطاب كما هو مكتوب ، حيث تفرض المناسبات والمكـــان الذى يلقى فيه الخطاب أن يتصف بقدر من الرسمية واستخدام الفصحى فى التعبير . أما فى غير ذلك فكان النص الذى يكون أمام الرئيس يقتصر على نقاط مكتوبة تفصل كل منها عن الاخرى مساحات بيضـــاء لينطلق فى خطابه يتحدث ويشرح بتفصيل الاحداث .. وكان عقله المرتب يساعده على أن يتحدث وأن يطرق فى كل نقطة مدونـة أمامـه عديدا من النقاط الفرعية .

وكان عبد الناصر يفضل الانطلاق على سجيته فى خطـــاباته الجماهيرية .. وكان يتفاعل مع الجماهير كتفاعلها معه ، ولكن كان دائما منتبها الى أن يتحدث عن كل فكرة وكل جملة وكـــل موضوع فى خطابه بلهجة معينة ، وبتعبيرات محسوبة ، مراعاة للدقة فى اعطاء المعانى التى يقصدها بكلماته .

.. خطاب واحد كان هو أقسى ما واجهه فى حياته .. كـــان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ بعد النكسة بشهر واحد وفى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة (قاعة جمال عبد الناصر فيمـــا

بعد) وتقدم القائد بخطوات ثابتة من مكانه فى الشرفة الأساسية الى منصة الخطابة ليواجه الجماهير لاول مرة بعد هزيمة زلزلت كيانه وهزته كما لم يؤثر فيه شيء فى حياته .

كانت آلاف العيون تتابعه فى مشيتــه الهادئــة .. وأمـام الميكرفون وقف فى صمت طال على غير عادته .. كانت الاضواء القوية مسلطة على وجهه من مصورى السينما والتليفزيون .. وتمكن الجالسون فى الصفوف الامامية أن يروا تعبيرات عينيه .. كان تأثره بالغا ، وفى عينيهــولمن رآه عن قرب فى هذه اللحظةــ كانت دمعة تترقرق فى مقلتيه ، وارادة هائلة تمنعها من اتخــاذ مجراها الطبيعى ..

ويقول جمال عبد الناصر عن هذه اللحظات بعدها :

« لقد كانت من اقسى لحظات حياتى .. كنت اكبت عواطفى بكل ما استطعت وحين بدأت حديثى أقول (ايها الاخوة المواطنون) كنت ابذل جهدا كبيرا ليخرج صوتى مسموعا وطبيعيا .. ولكن بعد دقائق وجدت فى هذا الشعب الطيب العظيم ما كنت اومن دائما انه فيه .. » .

ولكن ايامه لم تكن كلها سعادة ..

ولم تكن أيام جمال عبدالناصر كلها سعادة .. ولهذا ــ ربما ــ او للرقة الفائقة فى مشاعره ، كان يحب ان يرى كل من حوله سعداء ويبذل قدر استطاعته لاسعادهم .

أما هو فقد مضت به السنون عبر رحلة طويلة مع المرض سجلت ملحمة الالم الذى قلما بدا عليه ، وأبدا منه لم يشــك .. كانت أيامه جهدا خارقا استنزف قواه كلها فى سن مبكرة ..

ويوما قال لمن يتمشى معه فى حديقة منزله :

« اتدرى اننى لا ارى الاسفلت (مشيرا الى اتصال عمله ليل نهار وعدم الخروج) الا حين اذهب لرئاسة مجلس الوزراء ؟ ! »

كان الاطباء قد منعوه فى السنوات الاخيرة ـ وبعد ١٩٦٧ خاصة ـ من كل ما كان قد تبقى له ليروح عن نفسه : رياضة التنس وتنس الطاولة والسباحة فى الصيف . بل ـ وعلى حد تعبيره يوما ـ « حتى المشى منعونى فى الآخر منه ! » .

كانت ايامه ملأى بالعمل ، مشحونة بالعواطف ، ولكنها لم تكن كلها وردية : فمن فرحة لامل تحقق ، الى غضب مكبوت لتحرك او عمل معاد الى تفكير عميق فى مواجهة موقف عصيب ، الى معاناة من تصرف غير متوقع من أحد المقربين منه ، الى حزن لمأساة انسانية حملها خطاب مواطن اليه .

ولكن الرجل كان صبورا .. وكان الصبر من أوضح سمات شخصيته .. وكانت قدرته الهائلة على التحمل وقوة ارادته ، وتفانيه من أجل قضية عاش لها ، وشعب آمن به بقدر ثقته فيه ، كلها عوامل لم تجعل فى حياته يوما خلا من تضحية أو نضال ، ولم تترك له سوى أيام معدودات تلك التى قضاها فى أجازة حقيقية .

وكان جمال عبد الناصر كثير النظر الى ساعته ..

كان فى سباق مع الزمن .. يريد أن ينجز الكثير من آماله التى اتسعت بقدر آمال أمته .

كان شعلة من الحياة .. ولكن الشعلة تسرع بالاحتراق كلما زاد وميضها ..

وهكذا كان هو : رجل اضاء للملايين حياتهم بالامل والعمل ، وكانت ذاته وقودا .. رجل عاش لامته واستشهد فى سبيلها .

ما نحتاج إليه فى المرحلة :-

١ - تجديد عمل الثورة .

الناس داخل الحكم بتغيير شامل
[illegible] كله

انتهاء الإثارة والاستغلال بشكل [illegible]
[illegible] والاستغلال [illegible]
[illegible]

استقرار سياسة تجلب الأمن [illegible]
[illegible]

ضرورة إنهاء مرحلة حكم أهل الثقة

١٩٦٤

بخطه كان جمال عبد الناصر يسجل خواطره وملاحظاته ، والخطوط العامة لفكره . وتلك هى الصفحة الاولى ثم الاخيرة من خواطره بشأن العمل الوطنى عام ١٩٦٤ . فى الاولى بدأ يحدد ملاحظاته ، وفى الاخيرة يسجل احتمالات تحركه لعلاج السلبيات . وما بين الصفحتين عدد جمال عبد الناصر كل ما كان يراه من مشكلات دليل على مدى اتساع الدائرة التى يعمل فيها فكره .. فكل ذلك ورد تحت تاريخ يوم واحد : ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ .

١٧ اكتوبر ١٩٦٤ .

مجموعة ٣٢ بالوطنى

مجموعة عادى

شباب خلاصه

زيارة الوحدات الحرفية

حوادث العلمية - انشاء وتوصيه

مشروع ١٦ المساعدة طوارئ وبوده

مسئولية

سلب الامم

أخوذ والحكم العليا

شكاوى بغيضة :-

تقسيم حرز

الاجمالى ٦١ لتعليم
العين -

الاعتقاد سليم - تقاعد ٣ - لتغذيد الأضاحى

مرتبات الحكومة - غير قادر

الناحية الصحى . مشكلات كاسية وعالم

مرحلة الانتاج ومواجهة مشاكل .

ما كان هذا الشعب
إلا الانطلاق - عملاق -

لتفجير إمكانياته [illegible]
أو لا شيء

[illegible] هذا [illegible] الأمان [illegible]
هذا [illegible]

لن يفقد أبدا الأمان

إن [illegible] في الحقيقة [illegible]
النظيفة للحضارة إن الشعب
[illegible] الرجال
[illegible]

يصنع المعجزات معجزة تلو معجزة

في [illegible]

كانت ثقته في الشعب المصري بغير حدود .. ولم يكن يرى في نفسه إلا تجسيدا للقوى الكامنة في هذا الشعب . وهذه هي الصفحتين الأخيرة وقبل الأخيرة من خطابه بالاسكندرية في ٢٦ يوليو ١٩٦٥ .

لبنان :

رأيي أن أمريكا تلعب على لبنان
في أسبوع ٣ أو أسابيع يقضي
كليا على النظم التقدمية . وبذلك
تكون أمريكا المسيطرة على الشرق
الأوسط

جونسون الرئيس الأمريكي سنة ٦٧
قبلناه
ماذا كان موقف أمريكا

مشروع جونسون سنة ٦٧ . ويومها
ماذا كان موقف أمريكا وإسرائيل

نيات هل يستمر
مشروعات أمريكية مختلفة آخرها
مشروع النقاط العشر .

منذ ٦٧ قلت للسفير السوفيتي إن
أمريكا تلعب على لبنان .

خلال زيارته السرية لموسكو في يناير ١٩٧٠ : بعض من النقاط التي تحدث فيها عبد الناصر خلال مباحثاته مع الزعماء السوفييت .. وشرح فيها تقديره لموقف واشنطن .

في طرابلس : كتب جمال عبد الناصر بخط يده هذه الصفحات حول بعض القضايا العربية ودور مصر فيها .

١٢ ديسمبر ١٩٦٩ طرابلس

مصر :

لكل زعيم بعض النقاط على بعض الحروف

زعيم فلسطين

تسير عن [illegible] الرئاسة واضحة

جهود الأمة العربية [illegible] الحركة

العسكرية [illegible] [illegible] حصل

— لم يبذل [illegible] على [illegible] [illegible]

وحفظ [illegible]

— سبب عدم [illegible] كل القوى [illegible]

التحرر عدم الالتقاء من لإرادة الجميع

العربية الهام

طالما [illegible] [illegible] ذاتية

و [illegible] العسكرية

من أنا في ليبيا [illegible]

[illegible] [illegible] بعض النقاط

[illegible] [illegible]

— [illegible] [illegible] [illegible] العالمية

— ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

سري للغاية [illegible]

الانباء [illegible]

[illegible]

[illegible]

م ش ١

كشف مصدر مطلع في دمشق

الى بيروت [illegible] تطورات الاحوال

في سوريا في الاسبوع الاخير فقال

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لم يكن لاهتماماته في عمله حدود ، وكان عقله يفكر في كل شيء ..
وثيقة بخط عبد الناصر تبين انه كان يكتب بنفسه احيانا التعليقات التي كان على بعض اجهزة أعلامنا ان تتناولها .. والتعليق مكتوب لتذيعه وكالة انباء الشرق الاوسط (١ ش ١٠) .

[illegible] إدارة قناة السويس
بنجاح
[illegible] حرب السويس [illegible]
[illegible] لكن لم [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الذي [illegible]؟

[illegible] الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

قضايا ناصرية

ليس ذلك حديث مناسبات .. ليس مقالا دبج ليصدر في ذكرى رحيل جمال عبد الناصر ، ولا هو حديث عن مرحلة « انقضت » من عمرنا ودامت ١٨ عاما .

ليس ذلك هو المقصد من هذا المقال ، لان الناصرية حديث عن المستقبل . (١)

فلقد كان الاحساس بالانتماء هو الدافع الى اختيار « الناصرية » موضوعا للكتابة : الانتماء الى جيل تفتح وعيه على مبادىء ثورة يوليو ، وفتح عينيه على جمال عبد الناصر يقول له : « سودوا بامر الله فى وطنكم ، واحكموا وشاركوا شعوب الارض فى بحثها عن السلام وعن حياة مطمئنة »

---

(١) مقال في جريدة الاهرام بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٢

جيل لو قيست سنوات عمره ، ما بين الطفولة والشباب ، بالمعارك والاحداث والتحولات الكبرى التى عاشتها بلاده وأمته ، لوصل العد الى ما فوق الاربعين ! ..

.. ورغم ذلك فهو يأخذ كل ما تحقق على أنه قضية مسلم بها ! وكيف لأحد ان يطالبه بغير ذلك وهو لم يعش معاناة الجيل الذى سبقه ، ويعرف عنها الا بقدر ما يقرأ فى كتب التاريخ !

الاحساس بالانتماء اذن هو الدافع .. والبحث عن المستقبل هو الهدف ..

وكان منطقيا أن تفرض « الناصرية » نفسها موضوعا لهذا الحديث : فهى التعبير عن الثورة فى أصالتها العربية ، والتجسيد للاصالة فى الثورة العربية . ثم هى بعد ذلك تكفينا عناء البحث عن انفسنا فى نظريات الثورة التى صاغتها تجارب غيرنا من الشعوب ، لاننا لن نجد أنفسانا فيما هو مستورد .

فالناصرية على حد تعبير معمر القذافى مؤخرا : « تجربة انسانية وثورية عظيمة نقف أمامها فى جلال*واحترام ، ندرسها ونعيها ، نأخذ منها ونهتدى بها » .

وعلى حد تعبيره — ومقدرته الفائقة على تبسيط المعانى والكلمات — وصفها جمال عبد الناصر بأنها « مبادىء وخطة الثورة الاشتراكية .. مبادىء وخطة تحالف قوى الشعب العامل » . فهى — بمعنى آخر — منهاج ونظرية :

منهاج يحدد قوانين التغيير والتطور فى المجتمع كما وقفت عليها تجربة الثورة العربية :

ونظرية تبدأ من منطلق محدد لبلوغ غاية واضحة عن طريق اسلوب معين .

ولنترك لكلمات عبد الناصر تحدد رؤيته فى قضايا محددة .

أولا — فى ضرورة النظرية :

ان النظرية الثورية هى التى تنير الطريق أمام العمل الثورى ، وهى التى تعطى اليقين لحركة الشعب العامل . وتتيح فهم علاقة ما يجرى من احداث . وسط التناقضات المستمرة فى المجتمع . ولقد عبر الرئيس عبد الناصر عن ضرورة النظريه . وهو يقدم الى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مشروع التنظيم السياسى فى ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ . حين قال فى تقييمه لتجربه الاتحاد القومى :

« أن الفكر الثورى فى تلك الفتره . وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية . ويدرك ضرورتها الحيويه داخل الوطن وفى مواجهه الظروف المحيطة به . وقع فى الخطأ حين توهم ان الطبقه المحتكرة التى كان لابد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية ، يمكن أن تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة . » ونتيجة لما سبق من غياب دليل للعمل الثورى . ومن خطأ جمع المصالح المتصادمه فى وحدة وطنية موهومه . ضاع عنصر الالتزام فى التنظيمات الشعبية .. ان غياب دليل للعمل الثورى أقام ضبابا حول الهدف من المجتمع . كذلك فان المفهوم الموهوم للوحدة الوطنية . بعد غياب دليل للعمل . ضيع المقاييس الحقيقية للحكم على كفاءة أفراد التنظيم واخلاصهم فى خدمة الفكرة بشدهم الى هذا التنظيم » .

تتصل النظرية الثورية بطبيعتها اتصالا وثيقا بالعمل الثورى والتطبيق الثورى بل يمكن القول أن قيمة النظرية هى فى مدى

قدرتها على الاجابة على الاسئلة التى يطرحها العمل والممارسة. وان الاختبار المستمر للنظرية لا يمكن أن يكون الا من خلال العمل والتطبيق . وفى ذلك يقول الرئيس فى خطابه الافتتاحى للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦١ :

« لقد فرضت ظروفنا أن يسبق تطبيقنا الثورى النظرية .. ولكن ما هى النظرية ؟ .. انها دليل العمل .. وما هو مصدر دليل العمل ؟ .. هو الممارسة ودراسة المشكلات التى يواجهها المجتمع » .

ولقد حسم جمال عبد الناصر قضية : « ما هى النظرية السياسية للناصرية » ؟ .. حين قال فى الاجتماع الثانى للجنة التحضيرية : « ان الميثاق هو دليل عملنا الوطنى » . ثم زاد الامر حسما حين وقع فى ٩ مايو سنة ١٩٦٨ القانون الأساسى للاتحاد الاشتراكى العربى . وفيه جاء تحت عنوان : «مبادىء العمل» :

« من خلال تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى فى جميع مستوياتها . يجد الميثاق — وهو بالنسبة لثورتنا نظريتها السياسية . وبالنسبة لاشتراكيتنا فكرها الثورى — طريقه الى التطبيق العملى » .

ولقد يثور سؤال : كيف يمكن ان نطبق النظرية ؟ .. كيف يمكن ان ننفذ ما جاء فى الميثاق ؟ .. وفى ذلك يقول عبد الناصر خلال شرحه للميثاق :

« لست أنا الذى استطيع أن أصنع ذلك وحدى .. أن أى فرد لا يقدر وحده على عمل شىء ؛ ولكن الشعب وحده يقدر على كل شىء ... ان الشعب بعد تحريره من الاستغلال هو

القادر على أن يقود التقدم ... لا أحد يقدر على ان يحرر شعبا الا اذا كان هـذا الشعب على استعداد لان يضحي ويحـرر نفسه » .

ثانيا — فى التحول الاشتراكى

ما دامت الناصرية — اذن — ثورة اجتماعية وسياسية . تتميز عن سائر الثورات الاجتماعيـة التى خاضت تجاربها شعوب غيرنا ، لكونها ثورة نبتت فى التربة العربية . وفى مناخ عربى ، وجاءت تعبيرا ثوريا عن الواقع العربى . فهى تنطلق بالضرورة من أن الاشتراكية — وهى الغاء استغلال الانسـان للانسان واتاحة الفرصة المتكافئة له للنمو المتوازن والكامل فكريا وثقافيا وروحيا وماديا — تختلف تطبيقاتها من مجتمع لآخر ، فليس هناك اذن طريق وحيد للاشتراكية .

ان الاشتراكية بتدعيمها تكافؤ الفرص . وضمان الحـريه الاقتصادية للمواطن . تصبح هى المدخل الحقيقى — بل الوحيد — الى الحرية ، ويصبح السعى الى مزيـد من الحرية مرتبطا بالسير الى ابعـد من طريق الاشتراكية . ويقول الرئيس فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٦٢ :

« أن مزيدا من الاشتراكية يعطينا مزيدا من الحريه .. وكلما قضينا على قاعدة الظلم الاجتماعى ، تتسع قاعدة الحرية . وكلما سرنا فى الاشتراكية ، كلما اتسعت قواعد الحرية ، وكلما قضينا على الظلم الاجتماعى — على مراحل وعلى فترات — بالكفاية والعدل ، نجد أننا نفتح للحرية جميع الأبواب » .

وتكمن أبرز السمات المميزة للثورة الناصرية ، فى رفضها دموية حـل الصراع الاجتماعى والتزامها بسلميته .. وفى ذلك يقول الرئيس فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢ :

« نحن لا نريد أن نخلق اعداء ، ونريد حل خلافاتنا الطبقيـة بالتراضى والتفاهم . ولكن ذلك كان عسيرا ولا يزال عسيرا ..

نحن شعب قلبه مفتوح ، وصدره مفتوح للتفاهم والوسائل السلمية . وطيلة عمرنا كنا شعبا رحيما ، شعبا طيبا ، ولم يكن شعبنا حقودا ابدا . يقولون أن جمال عبد الناصر لديه حقد طبقي .. لماذا ؟ .. لقد اصبحت رئيسا للجمهورية ، واركب سيارة (كاديلاك) .. ليس حقدا طبقيا ، لانني لا أعرفهم ، ولا رايتهم ، ولا جلست معهم . ولكنني رأيت الآخرين : رأيت الشعب ، رأيت العمال الزراعيين ، رأيت عمال التراحيل ، رأيت الفلاحين ، رايت الشعب الذى أتينا منه . فالعملية ليست حقدا طبقيا ، ولكنها اعادة الحقوق المسلوبة ممن ياكلون حقوقنا .. ان اعادة الحقوق للشعب لا تنسى كما كان يحدث في الماضى ـ حين يعيد الشخص حقوقه ولا رايتهم ، ولا جلست معهم . ولكنني رايت الاخرين : رايت الشعب ، رايت العمال ، رايت الفلاحين ، رايت الشعب الذى كرئيس للجمهورية لا اعتبره عملا ، ولكني اعتبره حياة كاملة . ليس وظيفة ينتهى العمل فيها فى الواحدة والنصف ظهرا ، وانما اعيشها أربعا وعشرين ساعة .

ويأتي موقف الناصرية من الطبقة الوسطى فى المجتمع ، كسمة مميزة ثانية ، ويحدد جمال عبد الناصر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٦٢، موقف الثورة من الطبقة الوسطى حين يقول :

« لقد اشتركت هذه الطبقة فى الماضى ــ وتدخل الراسمالية الوطنية ضمنها ــ من أجل قيام الثورة السياسية والاجتماعية . وفى الصراع بيننا وبين الطبقة الرجعية والراسمالية تحاول الأخيرة أن تجتذب الطبقة الوسطى لتستخدمها فى ضرب الثورة الاجتماعية .. ونقول لهذه الطبقة المتوسطة أن مصالحها مرتبطة مع مصالح الشعب بأكثر مما هى مرتبطة مع مصالح الطبقة الاقطاعية والراسمالية » .

الا أن الناصرية لا تعتبر التزامها بسلمية حل الصراع الاجتماعى ، الا بقدر ما تخضع القوى الرجعية لمتطلبات الثورة

ومطالبها .. وفى ذلك يقول عبد الناصر بأصالة الثورى واصراره فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٦٢ :

« ولكننا فى الميثاق لم نستبعد العنف .. وقلنا اذا لم تصر الرجعية فى هذا ، واخذت المبادرة فى أن تهاجمنا وتهاجم مجتمعنا. فاننا سنستخدم العنف الى أقصى حد ممكن » .

ويقول أيضا فى خطاب له :

« لو تحركت الثورة المضادة للانقضاض على منجزات الثورة. لارتديت لهم الكاكى ونزلت الى الشارع أدافع عنها بدمى » .

ولكن الاشتراكية لا يمكن ان تتحقق تلقائيا . ولا يمكن ان تكون مرحلة التحول والبناء الاستراكى مرحلة متجانسة خالصة . ذلك أن البناء الاشتراكى يجرى فى مجتمع تسود فيه انظمة راسمالية واقطاعيه . وجهاز قيم رجعى . وبقايا من الانظمه القديمة تتداخل فيه . ويزداد الامر وضوحا فى مصر حيث يعود تاريخ الامبروطراطية المصرية الى آلاف من السنوات مضت ، حيث تكونت على ضفاف النيل اول حكومة مركزية فى العالم . وتلك احدى العقبات الموضوعيه والعملية التى تواجه التطبيق الاشتراكى . ويمس القطاعات .. أن مشكلة التحول الاشتراكى هى مشكلة التطبيق الاشتراكى . اننى اعبر نفسى يساريا جدا بالنسبة لليسار فى هذا البلد . ورغم ذلك فقد طلبت فى يوم من الايام توزيع القطاع الجنوبى من مديريه التحرير وتمليكه لكى انتهى ! المشكلة كانت فى السرقات : كل شىء يسرق . هناك عصابة فى مديرية التحرير لا أعرف كيف اضبطها . ولا احد يعرف كيف يضبطها . فالدولة تنفق والاشياء تسرق ! وكيف نقبض على العصابة الا اذا قبضنا على كل من هناك وأحضرنا ناسا غيرهم . وهذا غير ممكن . وجدت الخفراء يسرقون والمسئولين عن الأمن يسرقون » .

ويمضى الرئيس فى حديثه عن أخطر القضايا التى تواجـه تطبيقنا الاشتراكى :

« ان الاشتراكية ليس معناها أن نخسر . واليوم نحن نقول ان أى شركة تخسر يجب ان نصفيها سواء فى الصناعة او غيرها. أى جريدة تخسر يجب اغلاقها . فحين نتكلم عن التطبيق الاشتراكى والتحول الاشتراكى يجب أن نفكر فى الادارة . اذا لم تكن الادارة سليمة فمعنى ذلك أننا (نكفر) الناس جميعا فى الاشتراكية » .

ويعود جمال عبد الناصر بالحاح الى نفس الموضوع فى ٢٦ مارس ١٩٦٩ وأمام اللجنة المركزية ايضا فيقول :

« بالنسبة لمجتمعنا فاننا لن نحول المجتمع كله الى ملكية عامة. فالتعاون غاية سليمة وكل الشكوى اليوم تأتينا من التطبيق.. بالنسبة للتسويق التعاونى (كمثال) فان رأيى أننا اذا لم نصلح هذه العملية فى هذه المرة فيجب حل التسويق التعاونى - والبدء من أول وجديد بطريقة سليمة بحيث نضمن الا (نكفر) الجماهير. اذا (كفرنا) الجماهير فى التطبيق فاننا (نكفرهم) اساسا فى الاشتراكية . واذا (كفرنا) الفلاحين فى الاشتراكية . فمن سيؤمن بالاشتراكية ؟ المفروض أن الاشتراكية أساسا هى لخدمة العمال والفلاحين » .

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٨ يشرح جمال عبد الناصر لقيادات العمل السياسى والتنفيذى مدى خطورة أخطاء التطبيق على الثورة الاجتماعية لاعضاء اللجنة المركزية :

« ان الثورة المضادة لا تستطيع أن تحيا الا اذا أعطيناها نحن المناخ والوسائل التى تحيا بها . ولقد ساعدناها فى الفترة الماضية بعدة سبل : حين انكمشت خطة التنمية ووجدت بطالة ، وحين ارتفعت الاسعار ، ثم حين وقعت النكسة وهى أكبر ما واجهنا..

حين توقفنا عن بناء المساكن ، وحين كان لدينا مساكن خالية ولم نسكنها . حدث أيضا حين قلنا أن لدينا سيارات سنبيعها بالعملة الصعبة لمن لديه عملة صعبة . أن هذه تفرقة طبقية . اننا نعطى بهذا للثورة المضادة اسبابا تتحدث فيها مع الناس وتقول : من الذى سيستطيع أن يدفع بالعملة الصعبة الا أقارب الوزراء والحكام ؟

ويخرج عبد الناصر من هذه التفرقة الهامة بين الشعب واعداء الشعب الى تفرقة اخرى لا تقل اهمية عنها :

« أن هناك تناقضا واضحا بين الشعب الذى يريد الثورة الاجتماعية ويريد التحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى . وبين الاقلية التى نريد مجتمعا يسوده الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى » .

ويبدأ عبد الناصر فى ترتيب نتائج بالغة الاهمية على هذه التفرقة : .

« فى داخل الشعب سنجد ادن خلافات واختلافات لا تنتهى ولن تنتهى . وعلينا أن نحلها بالطرق السلمية لكى نحصر آثارها : بالديمقراطية ، والحرية ، والنقاش ، والتصحيح ، والفهم ، وتحديد الخطأ وتحديد الصواب .

أما بالنسبة للخلافات بين الشعب واعداء الشعب :

« فلا زلنا على استعداد أن نحل التناقضات مع اعداء الشعب بالطرق السلمية . ولكن لسنا على استعداد بأى حال أن نسمح بوضع العراقيل فى وجه ثورة الشعب الاجتماعية باعطاء الرجعية فرصة تضرب ثورة الشعب وتضرب الثورة الاشتراكية .. من واجبنا أن نحمى كفاح الشعب ومكاسب الشعب .. فلابد من تجريد الرجعية من اسلحتها . هذا اسلوب . وهناك أساليب اخرى تصل الى المحاكمة . تصل الى الحرمان تصل الى نواح كثيرة » .

فما هى اذن — الدروس التى يمكن استخلاصها من تلك التفرقة بين الشعب وأعداء الشعب ، والنتائج التى تترتب عليها كما قال بها جمال عبد الناصر !

● ان الخلط بين الخلافات داخل الشعب من ناحية . والتناقضات بين الشعب وأعداء الشعب من ناحية أخرى . وترك الميدان خاليا لتحركات الرجعية الداخلية . يفتح الطريق امام ضرب التحول الاشتراكى من أساسه .

● ان الموقف السلبى ازاء الخلافات بين فئات الشعب ، وعدم المبادرة الى حلها ديموقراطيا — سواء عن تردد أو جزع أو عدم فهم للتفاعلات الاجتماعية على ضوء النظرية الثورية — يفتح الطريق أمام التلقائية ، ويقود الى أخطاء فادحة تهدد وحدة المجتمع الاشتراكى .

تفرقة بالغة الاهمية اذن ، تلك التى وضعها جمال عبدالناصر . برؤيته التاريخية للصراع الاجتماعى .

فاذا كانت الناصرية خلافا للماركسية — ترفض العنف والدم طريقا لحل الصراع الاجتماعى . وتنادى بسلميته . فلابد — فى مرحلة التحول الاشتراكى وخلالها — من نزع اسلحة الرجعية والاقطاع التى تشهرها فى وجه فئات الشعب العامل . والتى يمكن ان تقود عملية التحول الى الصدام والدموية .

ولكن عبد الناصر يحرص على عدم الخلط بين الشعب واعداء الشعب ، بين مؤيدى الثورة . والثورة المضادة . حتى لا ندين بالخطأ اناسا لا غبار عليهم ، ويتضح ذلك من قوله فى ١٢ديسمبر ١٩٦٨ لاعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى :

« ان موضوع النقد جزء من طبيعة شعبنا . اننى حين امسك بالصحف صباحا أجد فيها اشياء لا تعجبنى . ولعل بعضكم يتصور اننى أعرف ما سيصدر فى صحف الغد مسبقا وهذا غير حقيقى . كثيرا اذن ما أجد انباء عن اشياء أقدمت عليها الحكومة

ولا تعجبنى ، فأتصل بالتليفون وأسأل : ما هذا الذى تفعلونه ؟ ! عذه طبيعتنا . ولكن ليس معنى ذلك اننى معاد للنظام . نحن ننتقد أحيانا لان مطالبنا الاجتماعية لم تتوفر . وحين يقول لك أحد أن سعر الفانلة أصبح ستين قرشا ، وأن سعر الجورب أصبح ثلاثين قرشا فذلك انتقاد . ومن حق كل مواطن أن ينتقد ، ولكن لا يمكن تسمية ذلك ثورة مضادة .

.. ولمساته الانسانية :

وفى ١٢ فبراير ١٩٦٩ — وبينما حرب الاستنزاف على اشدها — نصل المناقشات الحادة فى اللجنة المركزية بعبد الناصر الى نقطة لا يرى انها تقل جدية عن كل ما يمكن ان يقال فى الموقف العسكرى . فيتحدث عن مشكلات الجندى المصرى فى القوات المسلحة :

« أن من اهم اسباب نشر الروح المعنوية لجنودنا هو الفقر . كل عسكرى عنده مشكلة نتيجة الفقر . هذا هو مجتمعنا . حين ذهبت الى الجبهة سألت : من عنده مشكلة ؟ فلم يرض أحد ان **يقول شيئا . فاخترت جنديا وقلت لـه : أنت لديك مشكلة ..** ما هى ؟ فقالها لى . كل الجنود بعد ذلك تكلموا وكان لكل **منهم مشكلة** : هناك من ترك والده مريضا ولا يعرف ماذا يفعل له ، هناك من ترك أمه وحيدة ولا احد (يجرى عليها) . وقد أخذت مشاكلهم لاحلها . نحن مجتمع فقير فماذا يفعل العسكرى الفلاح . أن الجندى المصرى اذا شعر بأن هناك اهتماما به فسوف يخرج ليموت ويضحى بحياته ضد العدو بلا تردد . انهم اناس طيبون . فلاحون من بلادنا . أن كلامنا لهم لا يحل شيئا وحده. الخطب والشعارات بدون عمل ستؤدى نتيجة عكسية . فلو تحدثنا ولم نعمل ستبدأ تعليقاتهم بعد الخطبة . لانهم بسطاء ولكن أذكيـــاء » .

ثالثا ــ فى التنظيم السياسى :

يمثل الاتحاد الاشتراكى ، الذى يضم تحالف قوى الشعب العامل ، الركيزة الكبرى للتطبيق الناصرى فى الثورة .

من أولى مهام الاتحاد الاشتراكى فى راى عبد الناصر هى قيادة النضال الثورى للشعب ولكن من اين يستمد الاتحاد قوته لممارسة هذه القيادة ؟

يقول جمال عبد الناصر فى ٣ فبراير ١٩٧٠ :

« بواسطة قيادات الاتحاد الاشتراكى وبطريقة غير مباشرة ، وليس بقوة الامر والقانون . ليس بالسلطة يخضع الاتحاد الاشتراكى لجان المواطنين من اجل المعركة (مثلا) لانه لو فعل لقضى عليها . بنفس الاسلوب يمكن للاتحاد أن يعمل (أن يقود) مع نقابات العمال ، والمحامين والزراعيين الخ ... واذا كان الاتحاد قويا فسوف يقود . »

فبثقة الجماهير تكتسب قوة الاتحاد الاشتراكى اذن . فهى قوة أساسها الثقة والاقتناع ، وليس أساسها دكتاتورية ولا انفراد بالسلطة . ولكن كيف يكون كسب الثقة ؟

ويركز عبد الناصر على اهمية العمل السياسى فيقول فى ٢٣ أكتوبر ١٩٦٨ فى اللجنة المركزية :

« ان الجماهير هى الطرف الاساسى معنا فى كل قضية ، ولابد أن نقنعها قبل اتخاذ أى قرار او اجراء . »

وحول نفس الموضوع يقول فى ١٢ أكتوبر ١٩٦٩ :

« اننا نقول أحيانا أن هذا الشخص له موقف فكرى ضد الاشتراكية ولن نستطيع اقناعه . فى الصين الشعبية هناك من اخذت مصانعهم ولكنهم استطاعوا اقناعهم ، وعملوا فى هذه

المصانع . ما هو السبب ؟ هو قوة العمل السياسى ، وقـــوة الاقناع ، وقوة التنظيم السياسى .. ثم ما هو الموقف العسكرى اذا نظرنا لبلدنا سنجد أن الناس جميعــــا ـ ونحن منهم ـ محافظون فى تفكيرهم . واقول محافظون لا رجعيين . محافظون بمعنى انهم لا يحبون « التغيير » . القرية ستجدها محافظة فى تفكيرها ولكنها ليست رجعية وليست ثورة مضادة . ومن هنـــا فان التغيير عملية ليست سهله . قلة فى هذا المجتمع اشتراكية . وقلة قليلة جدا هم الثورة المضــــادة . ثم يبقى الشعب : من سيقنعه ؟ الكتلة الكبيرة الموجودة من الناس منازعها هذه القلة وتلك ... وبقدر مـــا يكون تنظيمنا السياسى قويا نستطيع ان نؤثر فى هذه الاغلبية .. أيضا أقول أن كل واحد يمكن أن يكون اشتراكيا حتى تقترب منه هو الاشتراكية ميبــــدأ فى التردد . فالعمليه دى لا يجب أن نصبها فى قوالب » .

ويحذر الرئيس فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٨ من المغـــالاة فى تقدير قوة الثورة المضادة فيقول :

« لا يجب أن نضخم فى تصورنا لحجم الثورة المضـــادة .. والواقع هناك حزبان : حزب الثورة وهـو الاتحـاد الاشتراكى وحزب مضاد متسلل داخل الاتحاد الاشتراكى . وسلل أعدائنا الى صفوفنا نتيجه اننا تحالف ولسنا حزبا بالمعنى الحرفى . هم يعرفون بعضهم وينظمون انفسهم ولكن نحن الذين نساعدهم !.. كل من لا تجاب طلباته يبدأ فى « التلسين » ويتخذ موقع المضاد . وهؤلاء لم نتخذ ضدهم اجراءات ابدا . ولو اننا سرنا على أساس أن من هو منا ـ من الاتحاد الاشتراكى ـ ولا يلتزم ميؤاخذ بجدية فلن نجد هذه العناصر .. فنحن من داخلنا نساند الثورة المضادة : هذا يهدم ذاك ، وفلان يهدم فلانا . واذا اردنا بناء اتحاد اشتراكى قوى فيجب أن نؤاخذ العضو الذى يلجأ الى هذا الاسلوب » .

ولا يكل جمال عبد الناصر وهو يستحث الاتحـاد الاشتراكى ممارسة قيادته للمسيرة الثورية . وفى ٣ فبراير ١٩٧٠ خـلال

اول لقاء له باعضاء اللجنة المركزية بعد النوبة القلبية الاولى التى أصابته فى سبتمبر ١٩٦٩ ، يقول عبد الناصر :

« ... من المستحيل ان انظم النـــاس جميعـا عن طريق السلطة . ان تفكير الناس ليس واحدا ، وأرجـو الا نيأس فى نظرتنا للمستقبل . اذا كانت هناك قيادات قد تعفنت ، واخرى انحرفت ، فيجب أن تتحركوا ضدها وان تسقطوها . لابد ان يكون هناك صراع وهذا هو العمل الفعال . اننى لا اقول أن نقوم بثورة ثقافية كما يجرى فى الصين — وان كان من الجائز أن افعلها يوما ولكن ليس الان — ولكن انتم فى مواقع قيادتكم تستطيعون أن تعملوا هذا ، والشباب ايضا فى كل مكان . اعملوا فى مجالاتكم ، ولا تجلسوا فى اماكنكم وتطلبون ان تسير الدنيـا على هواكم » .

لا تمضى مناقشات جمال عبد الناصر على جميع المستويات ، وخطاباته الى شعبه ، بغير تنبيه الى المحـــاذير التى يمكن أن تنزلق اليها الممارسة الناصرية غير الواعية . او غير الملتزمة .. فنجد من بين ما قال كلمات لم تزل تنبض بالحياة :

١ — قال فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ :

« أن الرجعية لا تستطيع أن تشعر بالطمأنينة بأى حال من الاحوال الا اذا كانت تحكم ، وهى دائما تسعى الى الحكم بطريق غير مباشر : بواسطة السياسيين . ان الرجعيـة تستطيع أن تكيف نفسها وفق العصر ترفع شعارات الديمقراطية اذا كــان هذا الشعار يجذب الجماهير . لان سلاح الرجعية هو الجماهير . الشعب نفسه تخدعه ، ثم ترفع الشعارات ثم تكبله ، وحين تصل الى الحكم فانها بالطبع تتناسى شعاراتها . »

٢ — وقال عبد الناصر فى ٢٧ يونيو ١٩٦٢ :

« هناك من ينشأون فى القرية ، ويتعلمون وينالون فرصا ، ثم ينتقلون للعمل فى القاهرة أو الاسكندرية ، فينسـون أبنـــاء

عمومتهم فى القرية ، وينسون المجتمع الذى جاءوا منه . هؤلاء تكون لهم تطلعات ويريدون الانتقـــــال من الطبقة المتوسطة الى الطبقة العالية الرأسمالية او الاقطاعية ... لابد ان نقضى على التطلعات الرأسمالية أو الاقطاعية ، لان الافكار الرجعية ليست فقط عند الرأسماليين . أن ما أخشاة هو ان يأتى فى المجلس النيابى أشخاص يقدمون الوعود للفلاحين والعمال ، ثم ينتهى كل شىء بدخولهم المجلس . فيبدأ التفكير فى انه «النائب المحترم» ويسعى لشراء عمارة ، وتكوين رصيد من المــــال ، ويشترى فدانين ، ويدخن نوعا أجود من السجائر أن الذين يجب أن يكونوا امناء على هذا هم العمال والفلاحون » .

٣ ــ قال جمال عبد الناصر لاعضاء اللجـــــنة المركزية فى ١٢ فبراير ١٩٦٩ :

« لا يمكن القبول بالمناداة باعطاء اليمين المتطرف فرصة مثل التى نعطيها لليسار المتطرف . ان اليمين المتطرف هم اعـــداء الثورة ، هم اليمين المتآمر ولا يمكن ان نساوى بينهم وبين اليسار المتطرف . نحن يسار ، ويســــار متطرف ولكننا لا نرفض الا اليسار المتآمر واليسار العميل وهم الشيوعيون . واليسار المتآمر يحاكم ، وهم قلة ولا قيمــة لهم . اننى أعطى لكل فـــرد منهم فرصة ما دامت هناك ثقة فى انه لا يتآمر ، أما المتآمر فلا يعطى فرصـــة » .

تلك كانت رؤية عبد الناصر فى قضايا محددة لها اليوم اهمية خاصة . فهى ليست حديثا متكاملا عن الناصرية كنظرية للثورة العربية .. وهل يمكن اضافة جديد فى هذا المجال الى شعب قاد المسيرة .

لو تحركت الثورة المضـــادة للانفصاض على منجــــزات الثورة لارتديت لهم الكاكى ونزلت الى الشـــارع ادافع عنها بدمى .

جمال عبد الناصر

الناصرية فى قلب المعركة

أيها الأخوة :

اسمحوا لى ان يدور حديثنا اليوم حـــول الظروف التى نعيشها .. ذلك اننا جميعا نلم بتاريخ الثورة لــاصرية تفاصيل ووقائع ، وقد نشأنا لنجد جمال عبد الناصر بيننا ، وتفتح وعينا السياسى على خطبه وكلماته وتكونت عقيدتنا على اســـاس مبادئه وأفكاره .

ومن هنا فالأجدى أن يكون الحديث تدارسا لما نحن عنه . لنرى ـ نحن الجماعير الناصرية ـ ابعاد ما نعيش ، وما يفرضه علينا التزامنا العقائدى تجاه الاحداث المتلاحقة .

محاضرة القيت فى بيروت

فان الناصرية فى قلب المعركة . وعليها تفتح النار كل يوم .

ولقد علمنا جمال عبد الناصر ان على من يريد الحياة الحرة الكريمة ، ويبتغى امتلاك ارادته ومصيره ، ان يصنع الاحـــداث ويوجهها .. لان الحرية لا تمنح طواعية والحقوق لا تقـــدم مع هدايا اعياد الميلاد ، والحـــياة كلها لا يمكن أن تمضى على ما نهوى بغير ارادة تفعل ، ونضال يحقق .

واسمحوا لى ـ ايهـــا الاخـــوة ـ ان استعير مـن جمال عبد الناصر تعبيرا اصف به ما نحن فيه اليوم لأقول اننا نعيش اخطر مراحل نضالنا واكثرها مشقة وحسما . ذلك ــ ايهـــا الأخوة ــ اننا فى وسط معركة ضارية تستهدف فى حقيقة الأمـــر اعز ما نملك وأقوى ما نسلح به : اقصد بذلك عقيدتنا الناصريه ذاتها .

الهدف الحقيقى لعدوان ١٩٦٧ :

ان الفهم الواعى لمـا جـرى فى عـام ١٩٦٧ ، وما جرى مند ذلك الحين ، يؤكد أن العدوان علينـــا لم يكن مبعثه حشد القوات المصرية فى سيناء او اغلاق خليج العقبة ، ولا كان هدفه الأساسى هو الاعتداء على سوريا ، ولا تدمير القوات المسلحة المصرية فى صحراء التيه .

لقد استهدف العدوان ــ ولا يزال ــ مجموعة قيم ومبادىء تشكل فى مجموعها منهج العمل الناصرى كطريق لهذه الأمة نحو تحررها الكامل .

وفى غير ذلك الفهم تهوين لما نلاقيه ، واستخفاف بالواقـــع ، واهدار لقدرتنا على النظرة الشاملة الموضوعية ، وتهديد لجدية استعدادنا للمواجهة .

الناصرية تحت النيران .. لماذا ؟

وهنا يثور سؤال : لماذا تريد القوى المعادية لحركة التحرر والثورة العربية أن تسقط الناصرية ؟ ولماذا تبلغ بها الضراوة حد اللجوء الى المواجهة العسكرية تحقيقا لهذا الهدف ؟ ثم تحاول المضى حتى النهاية من اجل تحقيق هذا الهدف ، متحدية العالم كله ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تحدد فى نفس الوقت ابعاد أهداف العدو ، وتوضح بالتالى المساحة الشاسعة للارض التى يجب أن نتحرك عليها ونحن ندير معركتنا معه .

لقد كان اللجوء الى اقصى درجات العنف وسيلة لضرب الناصرية ، هو التعبير الصحيح عن حجم الخطر الذى تمثله الناصرية لمصالح الاستعمار فى المنطقة ، وللقوى التى اثبتت تجربة ثمانية عشر عاما انها تتحرك على هدى خطاه : وهى الرجعية والراسمالية المحلية واسرائيل .

لقد وجد الاستعمار — واسرائيل وقوى الرجعية والاقطاع المحلى معه — أن الناصرية تضع صيغة للعمل لا تترك امامه خيارا : اما القضاء عليها واما نهايته .. لان الناصرية لا تهدد فقط ركائز نفوذه القائمة فى المنطقة ، بل انها تغير التركيب الاجتماعى للسلطة بحيث تسد الطريق تماما أمام القوى التى يمكنه النفاذ من خلالها .

وزاد من ايمان الاستعمار بخطر الناصرية عليه ، عاملان محددان :

١ — ان الثورة الناصرية تمكنت بعد سنوات من قيامها من أن تنشىء مجتمعا يقف على عتبات امتلاك القوة الحقيقية فى اى صراع : وهو التصنيع الثقيل .

٢ ـ أن الثورة الناصرية قد انقلبت من مرحلة التجربة والخطأ فى تحسس خطوات تقدمها ، الى مرحلة بلورة منهج واضح ومحدد لعملها .. والترجمة العملية لذلك من وجهة نظر العدو الناصرية هي : أن هذه الثورة لم تعد تعتمد فقط في امتدادها عربيا على تأييد جماهيرى عارم أساسه التاريخ الواحد والأمل الواحد والهدف المشترك ، بل لقد وضعت أمام العناصر الثورية في العالم العربى دستور عمل محدد يمكن هذه العناصر ـ فى حالة نجاح عملها الثورى ـ من أن تختصر مراحل تطور مجتمعاتها مستفيدة من منهج أساسه تجربة غنية امتدت لما يقرب من عشرين عاما .

ولم يكن هذا التقدير من جانب قوى الاستعمار بعيدا عن الواقع وتكفينا نظرة على ما يجرى فوق أرض ليبيا الثورة لنتحقق من مدى صدقه .

ونظرة أخرى الى جنوب وادى النيل حيث تناضل جماهير الثورة فى السودان من أجل الثورة العربية ومن اجل الوقوف ضد قوى اليمين الرجعى . وان الجماهير الناصرية فى كل مكان تأمل للثورة العربية فى السودان الانتصار على طريق الثورة الناصرية.

النهج الناصرى للثورة اذن هو مصدر الخطر ..

والنهج الناصرى للثورة اذن هو الهدف .

والنهج الناصرى اذن هو محور المعركة واليه تصوب أسلحتهم .

ملامح المنهج الناصرى :

أولا : الاصرار على تحرير المنطقة العربية من الوجود الأجنبى :
وفى ذلك اضطر جمال عبد الناصر الدول العظمى ـ فى ذلك الوقت ـ على أن تفك قواعدها ، وأن تحملها على كاهلها وترحل . وسقطت امبراطوريتان :

البريطانية فى المشرق العربى والفرنسية فى مغربه .

ثانيا : الربط الكامل بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية:

وفى ذلك استطاع جمال عبدالناصر أن يقـــدم تجربة رائدة فى السير قدما فى ثورتين فى آن واحد .

فاذا كانت حـــرية التعبير السياسى للشعب ومشاركته فى السياسة العامة كانت أول أهدافه ، فلقد قرن الحرية السياسية بالحرية الاقتصادية والاجتماعية .

ذلك ان استمرار السيطرة الاقتصادية لطبقة الاقطـــاع والاشراف والراسمالية المحلية على بقية طبقات المجتمع ، لا يعدو ان يكون تركيزا للحرية السياسية فى هذه الطبقة وامتيازا لهـــا وحدها ، ومن ثم تكون هى الطبقـــــة الوحيدة المستفيدة من الاستقلال وجلاء القوات الاجنبية ، ومن الثورة الوطنية كلها .. ذلك الخطأ الذى وضعت فيه ثورات وطنية من قبل ثورة ١٩٥٢ ، تحكمت على نفسها بالنهاية .

ولقد ادرك جمال عبد الناصر منذ بدء الثورة مدى صعوبـــة السير فى الثورتين معا ، ولكنه استطاع — بالتجربة النـــاصرية للثورة التقدمية — ان يقدم صيغ الحلول العربية جاهزة لمن يريد التطبيق ، اختصارا لجهد عناصر الثورة فى الدول العربيـــة ، وتجنبا لعواقب المقاومة الشرسة لهذه الطبقة الرجعية المتحكمة .

وفى صعوبة السير فى ثورتين معا يقول جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة :

« وانا الآن استطيع ان اقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة .. ولكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، او جيش معتد اقام فى ارضه دون رضاه ، وثورة اجتماعية تتصـــارع فيها طبقاته ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تمشها معا ، وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات السنين .

اما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتين معا فى وقت واحد .

ولكن جمال عبد الناصر لم يقف عند حد توضيح الصعاب والمشاق ، ولكنه مضى ينجز فى الثورتين المتلازمتين :

● ففى أعقاب العدوان الثلاثى مباشرة أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراره بتمصير ثم تأميم الشركات البريطانية والفرنسية ، ثم الشركات والمؤسسات الاجنبية .

وبذلك نشأ القطاع العام فى مصر الذى قاد عملية التحول المضمة اقتصاديا من خلال معركة التحرر الوطنى من حول قناة السويس .

ثم كانت القرارات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ حين أكدت التجربة المصرية — ما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٠ — أن الراسمالية الكبيرة المحلية تحجم عن عملية التنمية ، وتنشط من أجل احباطها .

ثم توالت سلسلة القوانين التى حددت معالم طريق الثورة الاجتماعية ، ثم كان الميثاق مبلورا المنهج الناصرى على طريق التحرر السياسى والاجتماعى ، ومحددا للقوى التى تسير على هذا الطريق .

وبالالتزام بالثورة الاجتماعية ، وباختيار الاشتراكية طريقا ، سقطت جميع أسلحة التحالف العتيد الرجعية ورأس المال المستغل .. مقدمة التسلل الاستعمارى ووسيلته وأداة القهر والظلم الاجتماعى .

ثالثا : تأكيد سيادة الشعب فى المجتمع :

ولم يقف جمال عبد الناصر عند حد تأميم وسائل الانتاج فى المجتمع من أجل احداث الثورتين السياسية والاجتماعية ، وانما حرص ـ واصر ـ على أن تكون السيادة للشعب كاملة فى الدولة الناصرية : تأكيدا لمبدأ ملكية الشعب لوسائل الانتاج . ورفضا لمذهب ملكية الدولة لها .

وكان جمال عبد الناصر يرى فى وضع هذا المبدأ ـ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ـ هو الطريق الى تحقيق الهدف الأساسى فى ثورته وهو سيطرة الشعب على المجتمع وحريته المطلقة فى توجيه أموره .

فلقد كانت من أجل الشعب ثورته ، ومن اجل الشعب كان نضاله ، ولم يكن ليرضى بملكية الدولة لوسائل الانتاج تتحكم فيها طبقة الفنيين او التكنوقراط ـ الذين يتزايد نفوذهم بحكم ظروف العصر ـ بعيدا عن سيطرة الشعب كله وتوجيهه .

ولقد كان نقل السيادة كاملة الى الشعب هو محور تفكير جمال عبد الناصر دوما بقدر ما كان المواطن ، الانسان ، هدف عمله المستمر .

ولذلك نجده يقول فى ١٦ يناير ١٩٥٦ فى الاحتفال بدستور ١٩٥٦ : « أن الدستور الذى نعلنه اليوم يجمع الوطن جميعا ، كلنا سنكون مجلس الثورة الاكبر ، كلنا سنكون مجلس الثورة الاعلى ، كل هذا الشعب ، كل ابناء هذا الشعب سيكونون مجلس الثورة » .

وحرص عبد الناصر على أن يضمن دستور ١٩٥٦ نصا ينظم هذا الانتقال من مجلس الثورة الى المؤسسة الديمقراطية ، وقدم عبد الناصر عملية الانتقال هذه بقوله :

« ان المادة ١٩٤ من الدستور تقول : يجرى استفتاء لرياسة الجمهورية يوم السبت ٢٣ يوليو ، وتبدأ هذه الرئاسة فى مباشرة مهام منصبها من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء .. ومجلس الثورة الذى كان متوليا سلطة السيادة منذ قيام الثورة حتى العمل بهذا الدستور ، يتخلى عن هذه السلطة الى الشعب ، بطريقة تحفظ للشعب حقوقه .. ما عدا احد افراد هذا المجلس يستفتى عليه كرئيس للجمهورية » .

ومن خلال تجربة الثورة الناصرية ، وصدور القرارات الاشتراكية ، حدد جمال عبد الناصر مفهوم « الشعب » الذى هو مصدر جميع السلطات ، وصاحب السيادة الوحيد ، وصاحب الحق فى عضوية المجالس الشعبية فيقول انهم العمال والفلاحون والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية .

ويوضح جمال عبد الناصر فى الميثاق فلسفته فى تحديد قوى الشعب العامل .. وينص الميثاق :

« لقد اثبتت التجربة التى صاحبت بدء العمل الثورى المنظم انه من المحتم ان تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ، ومنعها من اية محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها .

ان الرجعية تتصادم فى مصالحها مع مصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ، ولهذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعية أولا وقبل كل شىء من جميع أسلحتها .

ان ازالة التصادم لا تزيل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب وانما تفتح المجال لامكان حلها سلميا .

ان تحالف الرجعية ورأس المال يجب أن يسقط .. ولابد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية . »

ويؤكد جمال عبد الناصر أن استمرار الثورة ، واستمرار الثورة الاجتماعية رهن بتوفير الديمقراطية الكاملة لتحالف قوى الشعب العامل : فيقول :

« ان الثورة الاجتماعية وأنا مصمم على كل كلمة الثورة ، لا العدالة الاجتماعية .. وكيف يمكن أن نحقق المرجو منها ؟ فى رأيى اننا لا نحقق هذا بالأوامر سواء فى هذه الأوامر الادارية أو التشريعات أو اللوائح ، أو المذكرات والكلام المعروف .. وسيلة واحدة تمكن الثورةالاجتماعية من أن تباشرمهمتها وتباشر تأثيرها، وهى الحرية الكاملة للشعب ، الديمقراطية الكاملة للشعب » .

وكان تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى ودوره الحاسم .

- تأكيدا لسيادة قوى الشعب العامل .
- وتأمينا للثورة .
- وضمانة استمرارها .

رابعا : ارساء المفهوم التقدمى للقومية العربية :

منذ اكد جمال عبد الناصر انتماء مصر العربى فى فجر ثورته ودون ايمانه به فى كتابه « فلسفة الثورة » ، وعبد الناصر يحقق فى الوطن العربى الانجاز تلو الآخر ، ويغير بثورته الناصرية المفهوم بعد المفهوم ، حتى صارت الناصرية هى المسئول الاول الذى يرجع اليه ما جرى من تغيرات فى العالم العربى .

وفى فلسفة الثورة يتساءل جمال عبد الناصر :

« ايمكن ان نتجاهل ان هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها ، حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام ؟ » ويمضى جمال عبد الناصر ويجيب على السؤال : « وما من شك فى أن الدائرة العربية هى اهم هذه الدوائر واوثقها ارتباطا بنا . فلقد امتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك » .

ومنذ ذلك الحين كان عبد الناصر وراء الانجازات التالية :

١ — اخرج مصر من عزلتها واكد عروبتها ، واصبح يتصرف على اساس أن مصر عربية .

٢ — أصبح الاستعمار والصهيونية هدف الحركة القومية العربية بعد أن ظل النضال العربى فى سبيل الاستقلال يعتمد على دول استعمارية ضد دولة استعمارية أخرى .

٣ — اصبح النضال الشعبى فى الدول العربية يستهدف اوسع الجماهير العربية بعد ان كانت القيادات السياسية للقومية العربية تجعل من مصلحة الطبقة التى تنتمى اليها هدفا قوميا للنضال الشعبى .

٤ — استطاع جمال عبد الناصر باصراره على عروبة مصر وجعلها فى قلب المسيرة العربية مثلما هى — جغرافيا — فى قلب الوطن العربى ، أن يوسع رقعة النضال العربى من اجل الاهداف العربية القومية ليشمل غرب آسيا ويمده النيل ويمده الى المغرب العربى .

٥ ــ اكد جمال عبد الناصر ــ وخاصة بعد تجربة الوحدة عام ١٩٥٨ ــ أن الشكل الممكن للوحدة ليس هو القائم على الحماس العاطفى وانما هو الشكل العملى الراسخ .

ومن ذلك كله صاغ جمال عبد الناصر القومية العربية فى مضمون تقدمى لا يترك مجالا لنفوذ أجنبى ولا لتحالف الراسماليات والاقطاع المحلى ركيزة قوى الاستعمار الجديد .

فهى قومية مضمونها وطنى يخدم قضية نضال الشعوب ضد الاستعمار . ومضمونها اجتماعى يقوم على وحدة الهدف بين الشعوب العربية ، وحدة الجماهير وقوى الشعب التى لا يتسع فيها مكان لقوى الاقطاع وراس المال المستغل .

ومضمونها انسانى عالمى يرفض القهر للقوميات والشعوب الأخرى ويقف مع كافة حركات التقدم والتحرر .

وكان الاستعمار يشعر بمدى خطر هذا المفهوم التقدمى للقومية العربية وللعمل العربى .. ومن هنا ففى اعقاب عدوان ١٩٦٧ : تلقى جمال عبد الناصر عددا من الرسائل الأمريكية تطلب اليه الكف عن العمل العربى ، ورفع يد مصر عن العالم العربى وعدم الحديث عن تحرير جميع الاراضى العربية المحتلة فى مقابل انسحاب اسرائيل من سيناء .

ولكن الهدف كان واضحا :

رغبة فى عزل مصر ليسهل تركيز الضربات عليها وحملها على القبول باهداف العدوان ، فضلا عن القضاء على الثورة التقدمية فى العالم العربى وكان رد جمال عبد الناصر وكان يقول لنا دوما : الضفة الغربية المحتلة قبل سيناء ، والمرتفعات السورية قبل غزة وشرم الشيخ .

خامسا : المفهوم المحدد لقوى الاستعمار والتخلف :

لم تقف الناصرية فى تعريفها عند حد وصفه بأنه الاستعمار القديم وانما تطور هذا التعريف بتطور الاشكال التى يتخذها الاستعمار العالمى والمحلى بل وامتد — من واقع التجربة الناصرية — **ليشمل قوى الراسمالية المحلية الكبيرة والاقطاع .**

كذلك فقد وضعت الناصرية **الوجود الصهيونى** فى اطاره الصحيح .

● صور متطورة من صور الاستعمار تستهدف **فرض ارادة اجنبية على ارادة الشعوب .**

● **وتحاول بالردع العسكرى أن توقف حركة تقدمها .**

● **وان تشل قدرتها على العمل على ارضها فى سبيل تحقيق** تحررها الكامل سياسيا واجتماعيا .

وازاء هذا المفهوم الواضح والمحدد لقوى الاستعمار والتخلف تأكدت عدة حقائق لا تخلو من عبر ومن مغزى :

١ — انه من بين خمسين مسئولا عربيا — على وجه التحديد — تولوا السلطة فى دول الامة العربية المستقلة . جمهوريات وممالك . فى الفترة ما بين ١٩٤٨ . ١٩٧٠ . فان جمال عبدالناصر وحده الذى حارب اسرائيل وهو وحده الذى حاربته اسرائيل .

٢ — من بين هؤلاء الخمسين فان جمال عبد الناصر — وحده — الذى جعل المصلحة الفلسطينية — مصلحة الشعب الفلسطينى وطليعته عناصر الثورة الفلسطينية — هى مصلحة مصر الخاصة. ادراكا منه بأن الخطر الصهيونى على فلسطين هو خطر على قاعدة التحرر العربى — مصر — وعلى جميع الشعوب العربية بحكم تعريفه المتطور للوجود الصهيونى فيها .

سادسا : التحديد الواضح لموقف مصر فى الجبهة المعادية للاستعمار :

وفى ذلك انطلق عبد الناصر من ثورته القومية فى تحديد هذا الموقع لمصر الثورة :

- مع كل شعب يسعى للتخلص من الاستعمار .
- مع كل شعب يسعى لحريته السياسية والاجتماعية .

وفى ذلك تحددت أوثق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى .

— ليس انطلاقا من مفهوم مذهبى واحد : لسنا شيوعيين وهم شيوعيون .

— ولكن انطلاقا من اهداف نضالية واحدة .

— الاتحاد السوفيتى هو الدولة الكبرى الوحيدة التى يمكن أن تقف معنا فى صراعنا مع الاستعمار .

ايها الأخوة :

تلك هى مبادىء الناصرية ، وذلك هو مضمون النهج الناصرى فى الثورة السياسية والاجتماعية فى خطوطه العامة .

تلك هى المبادىء ، وذلك هو النهج ، الذى من حوله تدور معركتنا اليوم :

١ — **نحن نقول :** انـــــه لا حرية بغير جناحيها السياسى والاجتماعى ، وهم يريدون أن يقضـــــوا على حريتنا بشقيها السياسى والاجتماعى .

٢ — **نحن نقول :** اننا سادة مصيرنا نرفض الاستعمار على أرضنا العربية أيا كانت صوره : من قواعد عسكرية الى سيطرة

اقتصادية الى توسع صهيونى ، وهم يريدون بلادنا ضيعة ينهبون ثرواتها ، ويريدوننا عبيداً تخدم ولا تحكم .

٣ ــ **نحن نقول :** ان السيادة الكاملة يجب ان تكون للشعب وحده ، لقوى الشعب العامل صاحبة المصلحة الحقيقية فى استمرار الثورة وفى تجددها المستمر ، وهم يريدون السيادة للاقطاع والراسمالية المحلية الكبيرة والرجعية ، واجهة لسيطرة الاحتكارات المالية الاجنبية علينا عبر البحر المتوسط والمحيط الهادى .

٤ ــ **نحن نقول :** ان القومية العربية ــ بمفهومها التقدمى ــ واقعنا ، والوحدة العربية ــ وحدة الاهداف القومية التقدمية، ووحدة مصالح قوى الشعب العامل فى كل مكان هى هدفنا .

وهم يريدون لنا اقليمية عربية تيسر السيطرة الاجنبية ، وتعقد فيها السلطة الحقيقية للطبقات المعادية لتحرر الشعوب العربية.

٥ ــ **نحن نقول :** ان وحدتنا ــ التى اساسها المنهج العلمى فى السعى نحو الوحدة ــ هدفنا ، ونقول أن بها يرتبط مصير جيلنا واجيال قادمة لاننا فى عالم اليوم والغد ، عالم الكيانات الكبرى حيث لا حياة حرة للاقليميات وهم يريدون لنا التجزئة ليسهل استنزاف الكيانات الكبرى لنا .

٦ ــ **نحن نقول :** اننا جزء من الجبهة المعادية للاستعمار العالمى ، المؤيدة لحرية الانسان السياسية والاجتماعية فى كل مكان .

وهم يريدوننا ثورة وطنية مضروبة ، يدب اليأس فى أوصال شعوبها ، لتقدم لهم صاغرة مصيرها .

تلك اذن أهداف العدوان :

عدوان لم يستهدف تدمير قوات جيش .. وانما تدمير ارادة أمة.

عدوان يريد تصفية ثورة .. لانها قامت بتصفية وجوده ، وتسعى الى تصفية نقاط ارتكازه فى دولها .

عدوان يريد تصفية منهج ثورى .. يحدد الطريق لعناصر ثورية عربية فى طور التكوين .

ومن الاهداف ــ ايها الأخوة ــ ننتقل معا الى الواقع القائم :

ان ما حدث منذ الانهيار العسكرى فى الدول العربية للثلاث شن عليها العدوان الاسرائيلى وهى مصر وسوريا والاردن ـ كان حدثا تاريخيا بالغ الأهمية لنا ، أكد الارادة الحية لهذه الامة ، وقدرتها الخارقة على استيعاب النكسات ، والمضى من جديد بارادة تصميم عظيمة :

١ ــ خرجت الشعوب العربية جميعا فى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ تطالب باستمرار النضال ، وترفض الاستسلام .

٢ ـ كعهده تعبيرا عن ارادة أمته ، قام البطل جريحا وسما فوق آلام النفس والجسد ، وبدأ من جديد ــ وبجهد خارق ــ أعاد البناء حجرا فوق حجر وأعاد تنظيم وترتيب الاوضاع على ضوء الدرس المستفاد .

٣ ــ وحين تصدى جمال عبد الناصر لاعادة البناء كان عليه أن يبدأ من نقطة الصفر .. أو مما هو دونها .

وبديهى ان جمال عبد الناصر لم يبدأ العمل عشوائيا وانما حدد نطاق عمله : سياسيا عالميا ، وسياسيا داخليا ، وعسكريا عربيا ومصريا ، ووضع استراتيجية شاملة للتحرر تحكم التحرك فى كل هذه المجالات .

وتلك نقطة يجب ان نتوقف عندها .. ذلك ان الخطأ الكبير الذى يقع فيه بعضنا : هو انه يبدأ تصرفه حيال المواقف التى يواجهها ناسيا ان **هناك استراتيجية عامة طويلة المدى** بطول الفترة التى يستغرقها الاعداد للتحرير . **وان هذه الاستراتيجية هى المنبع** الذى تخرج منه السياسات التى يجب ان نحكم المواقف فى مختلف المجالات طوال مرحلة العدوان القائم ، **وأن لهذا المنهج مصبا :** هو التحرير الكامل للأراضى المحتلة منذ ١٩٦٧ .

ولان البعض ينسى المنبع فانه يكاد ان يتوه عن المصب .. عن الهدف . فتاتى المواقف العربية متناثرة ، متضاربة احيانا ، وفى تناثرها وتضاربها يضيع البعض من قدراتنا هباء .. سهام طائشة فى الهواء بينما الهدف موجود على الارض : فى سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن والمرتفعات السورية .

استراتيجية عبد الناصر للتحرير :

وفى اختصار فان استراتيجية التحرير التى وضعها جمال عبد الناصر منذ يوليو ١٩٦٧ هى التالية :

١ ــ ان هدف العدوان أشمل من مجرد احتلال الأراضى ، ومن ثم يجب أن يكون مجال الحركة أوسع من مجرد متطلبات التحرير المادى لهذه الارض . لان الجهود لو اقتصرت على هذا القدر ــ الاستعداد العسكرى فقط ــ فانها لاترد على ما استهدفه العدو .

٢ ــ اعادة بناء القوات المسلحة المصرية بكفاءة عالية فى المعارك الفعلية لحرب الاستنزاف .

٣ ــ ان الاتحاد السوفيتى هو القوة الكبرى الوحيدة التى يمكن أن تقدم لنا الدعم الفعال فى سبيل هدف التحرير الكامل .

٤ ــ ان جهودا كبيرة ومخططة بدقة يجب أن توجه للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى فى مرحلة التحرير .

ذلك أن الاتحاد السوفيتى ــ كقوة كبرى ــ له التزاماته الدولية وله حدود يراها لمساندته العسكرية .

وترتيبا على ذلك فان المصلحة القومية العربية تقتضى الارتفاع بأزمة الشرق الأوسط الى المستوى العالمى كنقطة ساخنة فى مواجهة الدولتين الكبيرتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

وفى ذلك كان الانجاز الكبير لجمال عبد الناصر خلال زيارته السرية لموسكو فى يناير ١٩٧٠ .

٥ ــ ان المطلوب بالحاح هو تجميع تكثيف عناصر الضغط المؤثر على الولايات المتحدة لكى تحمل اسرائيل على تنفيذ قرار الانسحاب كجزء من حملة دولية شاملة تخدم الموقف العربى .

وكان لابد فى ذلك من ان يأخذ العمل ثلاثة اهداف اولها : تجميع عناصر ضغط مؤثر ، وثانيها : الاثبات للعالم كله أن مصر قد ذهبت فى محاولات الحل السلمى للازمة الى آخر المدى .. ولكن بغير تنازلات فى الارض أو حقوق شعب فلسطين .

وثالثها : تركيز هذا الضغط الممكن كله من حول كلمة الانسحاب .

وبدأ الجهد السياسى والدبلوماسى المصرى يغطى وجه العالم كله ؛ وكانت النتائج ايجابية وخاصة فى مجموعة دول أوربا الغربية

٦ ــ ان نفرض على اسرائيل شكلا للحرب يكون غير مناسب **لها** ، ويقوم على انتشار **القوات العسكرية العربية على اكثر من جبهة واحدة** ، بحيث نستفيد من العوامل غير المواتية لاسرائيل عسكريا منذ ١٩٦٧ ، **ومنها طول خطوط عملها الداخلى** وخطوط مواصلاتها .

فكانت جهود عبد الناصر من أجل اقامة الجبهة الشرقية ، والتى اندثرت الآمال فى قيامها بعد رحيله .

٧ ـ ضرورة تدعيم تحالف قوى الشعب العامل فى مصر ، وتدعيم الاتجاه الاشتراكى فيها .

باعتبار ذلك هدفا أساسيا للعدوان من ناحية ، ولضرورته فى الاستفادة القصوى من الامكانيات الذاتية المتاحة لدحر العدوان من ناحية أخرى .

والاستفادة من الامكانيات الذاتية المتاحة .

وهو هدف لا يقدر على تحقيقه الا تحالف قوى الشعب العامل لانه صاحب المصلحة الحقيقية فى انتصار الثورة التقدمية .

وظل جمال عبد الناصر يستنزف عمره لتطبيق استراتيجية ازالة آثار العدوان .

ظل يناضل من اجل اعادة البناء ، ثم تدعيم ما يبنيه .

وكان عليه فى نفس الوقت أن يواجه الحرب التى نشنها عليه القوى العربية ذات الاهداف المشتركة مع الاستعمار الاسرائيلى والصهيونى ، والتى أرادت أن تحبط عملية اعادة البناء ليحقق العدوان هدفه .

الرحيل .. والاستفتاء الجماهيرى :

ثم كان الرحيل .. وغاب عبد الناصر عن امته . وفقدنا الزعيم والقائد .

ولكن الملايين التى خرجت فى مصر فى يوم الوداع العظيم . وعشرات الملايين التى انطلقت الى الشوارع فى جميع انحاء الأمة

العربية . كانت — فى واقع الأمر — تدلى بصوتهـا فى اسـتفتاء جديد غير معلن رسميا وتجيب على سـؤال : هل تستمر ثـورة عبد الناصر . وهل تستمر استراتيجيته من اجل التحرير ؟

وكانت الاجابة بنعم — سنكمل المشـوار .

من الرحيل .. الى اليوم .. ودور جماهير عبد الناصر :

وعقب رحيل القائد مباشرة سكنت الحركه فى العالم العربى .. ارتفعت الاحداث .. انقطعت التصريحات .. كان المفاجأة أكبر من القدر . وكانت المباغتة اسرع من رد الفعل .

تصريحان فقط صـدرا فى تلك الأيام .

● تصريح لموشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى امام مجموعـة من الصحفيين قال فيه : « الآن لا تحدثونى عن الانسـحاب مـن الاراضى العربية المحتلة ككل . فان الحـديث عن انسحابنا مـن الضفة الغربية لنهر الاردن ومن الجولان قضية لا دخل لمصـر فيهـا » .

● وتصريح لريتشـارد نيكسون من على ظـهر احـدى قطع الاسطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط حين قال :

ـ لتتوقف المناورات ولتمتنع المدافع عن الدوى ، فمن كنـا نريده سماع صوتها لم يعد هناك !

● ● ●

والآن : ما هو واجبنا نحن جماهير عبد الناصر ؟

المعركة تستهدف مبادئنا . وقيمنا . وعقيدتنا .

المعركة تستهدف وجودنا وحريتنا وكرامتنا .

المعركة — اذن — معركتنا .

امامنا اذن مهمة شاقة بحجم الخطر ، ومضنية بقدر التحدى .

امامنا ــ وبالدرجة الأولى ــ العمل السياسى بين الجماهير الواسعة .. وغالبيتها العظمى ناصرية . لان الناصرية تعبير عن ذاتها وعن مصالحها . ولكنها فى حاجة الى ان تسمع وان تناقش.

فما نسمعه عن الناصرية قليل .. وما نراه متسقا مع الناصرية فى العالم العربى متواضع .

امامنا الحديث معها ، والنقاش معها . والحوار معها ، من حول دورها فى حماية ثورتها الناصرية .

وخطوط الحديث والنقاش مع الجماهير الناصرية من حول المعركة عديدة ومتصلة :

١ ــ التأكيد ــ وتكرار التأكيد ــ بأن هذه الجماهير هى هدف قوى القهر والعدوان والتخلف . ذلك ان ثورة عبد الناصر ملك لهذه الجماهير . وعبد الناصر لم يترك من ورائه الا سيادة وسيطرة تحالف قوى الشعب العامل على المجتمع . ثم مسئولين. بقدر حمايتهم لسيطرة تحالف قوى الشعب العامل وبقدر خدمتهم للمصالح الحقيقية لهذا التحالف .

٢ ــ الحديث فى الكثير من الشواهد السلبية التى نراها أمامنا فى العالم العربى ، وارجاعها الى أسبابها وأصولها .

ذلك أن غياب جمال عبد الناصر كان ــ فى احدى صوره ــ غياب **للمحور** الرئيسى الذى تدور من حوله الاحداث فى ارتباط به ، وتقاس عليه المواقف اقترابا او بعدا .

وكان غياب عبد الناصر ــ فى احدى صوره ــ غياب لنقطة **الجذب** التى تحقق حدا ادنى من السيطرة على النظام العربى وتمنع انفراط عقده .. سواء كانت مكونات النظام العربى تتخذ ذلك الموقف خشية او اقتناعا .

ومن هنا كان غياب هذا المحور الرئيسى ، ونقطة الجذب هذه، سببا فى انفراط مكونات النظـــام ، ومحاولات استكشاف فــردية للقدرات الذاتية .

فمن طبيعة البشر ان تلعب باذهان البعض احلام وراثة الزعامة ولقـــد كان بعضها يحاول فى وجود عبد الناصر وعانى الفشل ، واراد البعض الآخر ان يجرب حظه من بعده .. **وكأن الزعـــامة ضربة حظ لا تتطلب من مؤهلات خاصة سوى الخروج تحت جنح الليل ببعض الدبابات تفتح الطريق لحملات الثأر والتصفية واراقة الدماء .**

٣ ـ ان مجموعــة « جمع المهــود » ، الســـائرون فى كــل المواكب . والآكلون على جميع الموائد . سوف يضعون كامـــــة امكانياتهم فى خدمة من يعتقدون أن كفته ارجح أو ان ماله اكثر .. وواجبنا ـــ كجماهير ناصرية ـــ ان نكشف حقيقة مواقفهم .

٤ ـ ان قـوى اليمين ، وهى المعـــادية للثـــورة الســـياسية والاجتماعية . سوف تحاول أن تركب الموجة لتحقق الردة اليمينية الرجعية فى النهاية .

سواء بأن تجعل من نفسها فى بعض البلاد الحديثة العهد بالثورة الناصرية القوة الوحيدة التى يمكن للحكم الاعتماد عليها بعد اخطاء ارتكبها . أو بأن تتسلل ـــ فى بـــلاد أخـــرى ـــ الى التنظيمـــات الشعبية الناصرية . تتحدث لغـــة . الثوار . وترفع شعاراتهم ، وتحاول الانحراف بالمسيرة وتحويل مسارها .

٥ ـ ان البعض سـوف يحاول ادعــاء الناصرية ليصلوا الى جماهيرها اعتقادا منهم بأنهم يستطيعون تحقيق مكاسب شخصية. ومن هنـــا يجب أن يكون واضحـــا لنا جميعا ان معيار الالتـــزام بالناصرية . حجم العمـــل السياسى ـــ التطوعى ـــ بين الجماهير نصرة لمبـــادىء عبد الناصر .

ذلك ــ ايها الأخوة ــ هو المعيار الوحيد الذى لا بديل له :

لا الصور التى تنشر للبعض فى الصحف هنا فى لبنان .

ولا يتصورهم أنفسهم حواريى الناصرية وشهداءها .

ولا ادعاء الاتصال بهذه الجهة او تلك ، وكأن الخط الناصرى ــ الواضح وضوح الشمس ــ تحدده جهة أو أكثر خلال مقابلات تتم فى الخفاء .

لهم نقول : الناصرية انحياز للجماهير ــ لقوى الشعب الحقيقية ــ ونشاط بينها ، وتوعية منزهة عن الاغراض الخاصة . الناصرية ليست تجارة ، ولا رداء يلبس فى مواسم الانتخابات.

٦ ــ ان قوى القهر والتخلف سوف تحاول التسلل الى القواعد الشعبية بنفس منطقها العقيم . متصورة انه يمكن خداع الجماهير وتضليلها .

سوف يحاولون أن ينسللوا تصورا منهم ان رحيل القائد هو نهاية الناصرية وسيدفع هذا الحاكم او ذاك الآلاف . وربما الملايين لسماسرة التصفيق والهتاف .

وعلى الجماهير الناصرية ان تتصدى ، وأن تكشف . وان تلح على سؤالين :

١ ــ من هم الذين يقبضون هذه الاموال ؟

٢ ــ ما هو مصدرها ؟ والبست أحق بها الشعوب التى تستنزف ثرواتها وتتحول حقوقها المهضومة الى اموال تنفق من اجل شعار يرفع أو يد تصفق ؟

وفى مقابل التصدى لتلك السلبيات والمخاطر من خلال عملنا السياسى بين الجماهير فان علينا ــ نحن كجماهير عبد الناصر ــ أن نقود العمل الايجابى فى المجالات التالية :

١ ـ التأكيد المستمر بأن **الناصرية ثورة سياسية واجتماعية، اساسها تحالف قوى الشعب العامل ، والديمقراطية لقوى** العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية وسيلتها والتركيز المستمر فى ذلك على أن استمرار الثورة الناصرية معياره الوحيد هو انحياز السلطة بالكامل لهذه القوى .

ولقد كان جمال عبد الناصر واضحا تماما فى ذلك حين قال :

« فالشعب هو صاحب المصلحة الاصلية فى الثورة الاجتماعية لابد أن تكون له الحرية الكاملة ، والديمقراطية الكاملة ، حتى تنجح هذه الثورة الاجتماعية وبدون الديمقراطية للشعب نلاقى نفسنا انفصلنا وانعزلنا ، والشعب فى واد واحنا فى واد » .

٢ ـ ان الناصرية هى سيادة الارادة العربية الحرة :

* حرة من اية محاولات أجنبية ـ بغير استثناء ـ لاستيعابها أو الحد من قدرتها على الحركة وفق مصالح الشعب العامل .

* حرة من القيود الطبقية لتحالف الاقطاع ورأس المال المستغل .

* ومتحررة من الخوف والعجز وقادرة على التصرف باقتدار.

٣ ـ ان الصداقة العربية السوفيتية ، فى اطار معاداة الاستعمار العالمى هدف قومى يتساوى العمل من أجله والحرص عليه ، اية جهود أخرى تبذل من أجل التحرير وضد العدوان . ذلك أن الاتحاد السوفيتى ـ أيها الأخوة ـ هو القوة الكبرى الوحيدة التى يمكن أن تدعم النضال العربى من أجل التحرر السياسى والاجتماعى والعسكرى. وهى علاقات وصداقة اساسها العدو الواحد ، والهدف الواحد ، وان كان الأساس المذهبى مختلفا .

ولكن هناك شرط رئيسى — أيها الاخوة — يتوقف عليه مصير عملكم فى المعـركة :

ان **الهدف محدد** : وهو مبادىء عبد الناصر .. ومنهج عملـه الثورى . **والاعداء محددون** : الاستعمار الجـديد — الاسـتعمار الصهيونى — وتحالف **الاقطاع** وراس الما ل المستغل .

ومسرح المعركة محدد : خطها الأول : على قناة السويس .. حيث ستكون المواجهة العسكرية . وعلى طول خطوط وقف اطلاق النار حيث تصدق النوايا .

وعمقها : كل أرض عربية تحمل جماهير عبد الناصر التى تؤمن بمبادئه .

* عمق يشمل جبهة مصر الداخلية .
* ويمتد الى سوريا ولبنان هنا .
* وكل دولة عربيـــة يؤمن شعبها بعبد الناصر الثورة .

ولكن يبقى الشرط الأساسى للانتصار فى معركتنا :

هو تجميع القـــوى الناصرية . والقيادات الناصرية لا يمكـــن أن تخوض معركة نفتح فيها النار كل يوم على الناصرية ، ونحـــن شيع متفرقة وجماعات متنافرة .

كيف يمكن ان نصل للجماهير — التى نحـــن بدونهـــا لا نمثـــل الا انفسنا — بينما الفرقة والانقســـام واقعنا ؟

ان جماهير عبد الناصر هى الأغلبية الساحقة بين الجمـــاهير العربيـــة .

ولكن هذه الجماهير من بعد عبد الناصر ضائعة تائهـــة .

هذه مسئوليتكم ..

ان عناصر اليمين المتطرف تعمل على اساس منظم موحد .

ان عناصر اليسار المتطرف تعمل على اساس منظم موحد .

والناصريون الحقيقيون ينفرط عقـــدهم ، ويســـمحون لتجـــار الناصرية بالاندساس بينهم بأى منطق هذا ؟ ولمصلحة من ؟
ان المعركة لا تحتمل هذا الموقف .

فأما ان نكون على مستواها ، واما أن نعترف بعجزنا .

والشعب الذى انجب عبد الناصر قادر على ان ينجب مـــن بين صفوفه قيادات قادرة .

ايهـــا الأخوة :

هذه دعوة للتجمع

هذه دعوة للعمل الجاد

هذه دعوة للارتفاع فوق مستوى الحساسيات ، لأننا هـــدف المعركـــة .

هذه دعوة تجمعوا قواكم .. وتوحدوا مواقفكم .. وتنســـقوا تحرككم .

لسنا نقول ان نبدأ باقامة تنظيم ناصرى واحد ، لان ذلك — فى ظروف اليوم — تعلق بأمل بعيـــد .. وسوف نختلف من قبـــل بلوغ الجسر وعبوره .

نقول : لنجمع الجهود .. ولنصل الى حـــد أدنى من الاتفـــاق فى المواقف الجوهرية ما دامت المبـــادىء واحدة .

وبالعمل المشترك .. بالعمل المنسق .. ستصلون الى التنظيم الواحد .

ايهـا الأخوة :

ان التفرق السياسى هو أكبـر خطر بيننـا .

فلتكن هذه محاولة لتجمع القوى الناصرية الحقيقية .. واقول الحقيقة ، سواء كانت هذه القوى الناصرية الحقيقية تمارس العمل السياسى بالفعل أو تكتفى بالتعبير عن ايمانهـا والتزامها بالثورة الناصرية .

ان التنظيمات الناصرية مدعوة للعمل من أجل التجمع .

والقيادات المحليـة المخلصـة فى بعلبك وطرابلس وغيرهما ، مدعوة لأن تتشـارك .

أيهـا الأخوة :

ان الناصرية تحت النيران .. وأنتم جنود الجبهة الداخلية . انها معركة مصير .. وان لم يكن نضالنا على مستوى التحـدى فان التاريخ لن يغفر لنا ، وجماهيرنا لن ترحمنا .

انها معركة مصير : ومصيرنا جميعا واحد .. فـردا فـردا مصيرنا واحد . فلتجتمعوا معا .

كونوا قوة واحدة تخدم المبادىء الناصرية الأصلية .

ولسوف تساندكم الجماهير .و تسير من ورائكم ، ويكون الله معكم .

انهـا معركـة مصير :

فاضربوا المثل للقوى الناصرية فى كل بلد عربى .

وكونوا طليعة رجالها فى المعركة . رجال يحمون ظهور الابطال
على قناة السويس .
والمرتفعات السورية .

وجنود وضباط جيش الاردن .

ورجال الثورة الفلسطينية على كل خط مواجهة مع العدو .

وفقكم الله جميعا وحفظكم ذخرا ورعاكم لهذه الامة .

إسرائيل .. وثورة ٢٣ يوليو

لم يشهد العالم العربى منذ مئات السنوات من تاريخه مرحلة حافلة بالتصادم بين المتناقضات كتلك السنوات العشرين التى مضت . صدام مصالح وقوى : أجنبية ووطنية ، صهيونية وعربية، اقتصادية واجتماعية ، سياسية وثقافية .. وفى تلك المرحلة تداول قاموس اللغة العربية تعبيرات جديدة تعكس حجم هذه المتناقضات : الاستعمار والاستقلال ، السيطرة والتحرر ، الرجعية والتقدمية ، الراسمالية والحرية الاجتماعية ، الصهيونية والقومية العربية ، الاستعمار الاستيطانى والاستعمار الجديد ، ارادة الدول الكبرى ومصالحها وحق للشعوب فى صنع حياتها على أرضها « ١ » .

---

(١) نشرت بالاهرام بتاريخ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨١ .

فبعد سنوات من آخر «الانجازات» الاستعمارية فى الوطن العربى ــ اقامة دولة اسرائيل ــ ووسط تخلف وتجزئة وخضوع عربى، وفى ظل ايقاع بطىء للاحداث اليومية ، ومناخ ثقيل يحمل عبء رتابة الحياة : تفجرت فى مصر ثورة .. ثورة اصالتها فى انها نبتت من بذور الرفض الشعبى العربى لما هو قائم ، وقيمتها فى انها تجسيد لاهداف قومية عربية وتعبير عن قوى اجتماعية كان حق المشاركة بالنسبة لها مقطوعا برفضه ، وحجمها بقدر التأييد الشعبى لها وبقدر ارادتها تحسم ، وهمتها تنجز . وتفجرت المتناقضات جميعا :

بين قوى تقليدية وقوى جديدة

بين الاستعمار ومطالب الاستقلال .

بين طبقة الاقطاع وراس المال المستغل وبين طبقات اصبح من حقها ــ ولأول مرة ــ أن يكون لها أمل .

وتجسدت تلك التناقضات كلها فى تناقض اصيل آخر : بين اسرائيل الصهيونية والمبادىء التى تدين بها ثورة ٢٣ يوليو .. وظل هذا التناقض الاخير يلقى بظلاله ، ويؤتى تأثيراته ، ويدفع بالمبادأة ، كل ما عاشه العالم العربى من أحداث فى عشرين عاما ، فاقت فى حجمها وسرعتها ما عرفه منذ عشرات السنوات قبلها .

فليس مبالغة اذن ان يكون الصراع العربى الاسرائيلى هو اخطر الصدامات بين المتناقضات فى هذه الأمة ، وأن عليه يتوقف مسارها ومستقبلها .. فهو التصادم الذى تواجه فيه الشعوب العربية عدوا مدججا يعمل بتفوق القوة على ان يؤخر بلوغ التفاعلات الاجتماعية مداها بل ويحاول ــ بمنطق القوة ــ ان يحدد مسار التاريخ مستفيدا من ضعف قوة المنطق على الجانب المقابل . ولعل نظرة الى مصادر التناقض بين اسرائيل وثورة يوليو تكفى تدليلا على أن هذا الصراع هو أخطر الصدامات بين

المتناقضات ، وتكون تحديدا لحجم الخطر الخارجى على الثورة العربية . وتذكرة بأنه على الثورات فى نضالها ضد العدو الخارجى ان تحذر التقاء المصالح بين هذا العدو وبين قوى داخلية تحقق من الداخل وعلى مراحل ، ما فشل العدو فى تحقيقه بفرق عسكرية بأكملها .

وللحديث عن مصادر التناقض بين اسرائيل وثورة يوليو : فسوف نتتبعها فى اتجاهين :

اولا : النظرة الاسرائيلية التاريخية للصراع :

يرى قادة اسرائيل ومفكرو الصهيونية ان الصراع العربى الاسرائيلى صراع قوميتين . « قومية عربية » و « قومية يهودية » وجدت منذ استوطن اليهود فلسطين بعد خروجهم من مصر ، وحكمهم لها مدة سبعين عاما ، واستمرت معهم فى « الشتات » تجمع يهود العالم على أمل واحد هو العودة .

ويجسد دافيد بن جوريون ، زعيم الدولة الاسرائيلية ، هذه النظرة التاريخية للصراع العربى الاسرائيلى — كصراع قوميتين — حين يقول :

« لقد أعيد انشاء دولة اسرائيل فى القسم الغربى من ارض اسرائيل التاريخية . وخطورة مشكلة الأمن الراهنة ليست مسألة اختلاف حول الحدود ، بل هى نابعة من تغييرات بعيدة المدى حدثت بالقرب من ارض اسرائيل حوالى خمسمائة سنة بعد باركوخبا (أى منذ ظهور الاسلام والفتح العربى) ، ومن الزلزلة الروحية التى غيرت وجه الشرق الاوسط وآسيا الوسطى وشمال أفريقيا » .

وتنتقل النظرة الاسرائيلية بعد تحديد نوعية الصراع بأنه صراع بين قوميات ، الى توضيح تصورها لمداه : وهو ان تكون السيادة فى المنطقة لاسرائيل سيادة كاملة .

فيقول آرى الياف السكرتير السابق لحزب العمل الاسرائيلى (حزب جولدا مائير واكبر الاحزاب الاسرائيلية) ،وهو الذى اقسطر الى الاستقالة من منصبه لاتهامه بانه من « الحمائم » معبرا عن تصوره « لاسرائيل المستقبل » وفق الهدف الصهيونى فى كتابه « أهداف جديدة لاسرائيل » فيقول :

« ان اسرائيل اذا تصرفت من منطلق الشعور بالامن داخل حدودها فانها ستستطيع مضاعفة عدد سكانها ليصل الى ٨ ملايين اسرائيلى ، وبذلك يتحقق الهدف الصهيونى من تركيز اليهود فى اسرائيل ، وهى تستطيع فى هذه الحالة ــ وخاصة حين يتوقف الانفاق العسكرى الضخم ــ ان تستفيد من المهاجرين اليها من اليهود الغربيين لكى تصبح هى المركز العالمى للتفوق التكنولوجى فى المنطقة » .

ويكمل ايجال ألوان التصور الاسرائيلى للمستقبل بقوله :
« ويجب الا نسمح للعرب بأن يحظوا بأى تفوق فى مجال العلم والتكنولوجيا ، وألا نتيح لهم فرصة اللحاق بنا فى هذا المجال » .

وطبيعى ان تقود هذه النظرة التاريخية للصراع الاسرائيلى الى التحالف المستمر مع الدول الكبرى وخاصة الدولة الاستعمارية المسيطرة فى الشرق الاوسط من أجل تحقيق السيادة « للقومية الاسرائيلية » ان سلما أو حربا . وبرغم حرص اسرائيل الدائم على أن تبدو بعيدة عن الارتباط بأية احلاف غريبة ، فلقد كشف اهارون كوهين خبير الشئون العربية ، انحياز اسرائيل الاستراتيجى للغرب فى كتابه « اسرائيل والعالم العربى » حيث يقول : « انضمت اسرائيل منذ ١٩٥٠ وبصفة دائمة للغرب . فاخذت حكومة اسرائيل تسعى لحلف عسكرى مع دول الغرب الكبرى وكان الاساس الاول للسياسة الاسرائيلية هو تفانى اسرائيل فى خدمة الغرب . ولقد اخذ وقوف اسرائيل بجانب الغرب ــ فى المجال الدولى وفى مجال محاربة دول الغرب لحركة

التحرير العربية ـ أشكالا متعددة كان من بينها التعاطف الايديولوجى مع وجهة النظر الاستعمارية التى تتعارض مع وجهة نظر الشعوب العربية ! .

ثانيا : نظرية الامن الاسرائيلى :

وانطلاقا من هذه النظرة الاسرائيلية التاريخية للصراع العربى الاسرائيلى ، كانت صياغة نظرية الامن الاسرائيلى التى تتحدد خطوطها العامة كالاتى :

١ ـ أن سيادة « القوميات اليهودية » فى صراع القوميات فى الشرق الاوسط لن تقبله الدول العربية طواعية ، لان اسرائيل ـ على حد تعبير موشى ديان ـ « قلب مزروع فى هذه المنطقة وبقية الاعضاء ترفضه » . ولذلك فان فرض الارادة الاسرائيلية يصبح هو السبيل الوحيد لتحقيق الهدف الاسرائيلى .

ويعبر بن جوريون عن ذلك فى نقاش مع ناحوم جولدمان حيث يقول له : لقد نجحت انت مع دين اتشيسون ومع أديناور لانك تنتمى الى الحضارة نفسها .. أما العرب فلن يصغوا اليك .. ان العرب بحاجة الى يد قوية ، يد من حديد ، وهذا ما اتولاه أنـا لا انت » .

٢ ـ أن فرض الارادة الاسرائيلية يستلزم توفير عنصرين متلازمين :

● أن يستند الوجود الاسرائيلى ـ على حد تعبير ايجال آلون ـ وسواء كان وجوداً مدنيا أو عسكريا او سياسيا ، على وضع جغراف واستراتيجى يضمن للدولة عمقا جغرافيا ، ومواقع طبوغرافية ممتازة ..وهو ما يلخصه الاسرائيليون فى اصطلاح « الحدود الامنة » .

● أن « تؤمن » اسرائيل المنطقة التى تقع وراء « حدودها الامنة » بحيث تضمن عدم نمو قوة عربية فيها يمكن أن تعرقل تحقيق الهدف القومى لاسرائيل ، ويتضح ذلك من حديث نائب رئيسة وزراء اسرائيل فى كتابه « الامن الاسرائيلى » والذى نشره عام ١٩٦٨ حين حدد الحالات الاربع التى سيتحرك فيها الجيش الاسرائيلى للهجوم فيقول أن من بينها : « اذا كان من الضرورى تقديم المعونة لحلفاء فى الدول المجاورة ، أو فى حالة حدوث تغيير يهدد الوضع القائم فيها » .

ويحدد آلون الاردن باعتبارها الدولة التى يقصدها .

فنظرية الامن الاسرائيلى لا تقوم اذن على عنصر توفير « الحدود الامنة وحده » ولكنها تستند على عنصر آخر هو المحافظة على — وتوسيع — « المجال الحيوى لاسرائيل » ولئن كان المسئولون الاسرائيليون لا يتحدثون يوميا الا عن حاجتهم الى « حدود آمنه » فليس ذلك أكثر من محاولة لاستخدام حجة دفاعية فى التعبير عن هدف هجومى .

ان الربط بين عنصرى نظرية الامن الاسرائيلى — وهما الحدود الامنة والمجال الجوى — يكشف عن أن هذه الحدود هى تلك التى يسهل استخدامها فى « تأمين » الاراضى العربية المحيطة باسرائيل والتى تعتبر مجالا حيويا لها ، والتى لا ينبغى — من وجهة نظر اسرائيل — السماح بأن تقوم فيها قوة حضارية : اقتصادية واجتماعية كانت أو عسكرية .

تلك اذن هى رؤية اسرائيل التاريخية للصراع ونظريتها فى الامن ، وهى أول النقيضين المتصادمين :

صراع طبيعته قومية ، هدفه سيادة القومية اليهودية ، ووسيلته فرض السلام الاسرائيلى .

صراع تجرى ادارته على أساس :

الوقوف على حدود آمنة تتيح أفضل تحكم ممكن فى المجال الحيوى من حولها ، بالضربات العسكرية حينا ، وباللاحرب واللاسلم فى أحيان أخرى ، ومحاولة تطويع العقلية والنفس العربية لقبول الامر الواقع دواما .

وفى هذا المجال الحيوى ترى اسرائيل مجموعة محاذير تستوجب التحرك والقمع : لا تقدم اقتصادى واجتماعى يشكل طاقة قوة سياسية وعسكرية عربية ، لا بزوغ لحركة القومية المضادة (العربية) ، ولا سماح لها بحرية الحركة .

وتلك فى يقينى هى أيضا رؤية أمريكا لحل النزاع ما دامت القدرة العربية على الضغط عليها ، وعلى المنح والمنع ، وعلى الردع ، لا تعبر عن مقدرة فعلية ..

المفهوم العربى الثورى للصراع مع اسرائيل :

وفى مقابل ذلك كان ثانى النقيضين يتمثل فى مبادىء ثورة ٢٣ يوليو وانجازاتها .

١ ــ فحين اكتشف عبد الناصر وكشف ان النضال ضد الاستعمار الصهيونى يرتبط بأوثق ما يكون بالنضال ضد الاستعمار التقليدى والجديد ، فلقد تكشفت بذلك احدى ركائز الحركة الصهيونية .

٢ ــ وحين اكتشف عبد الناصر وكشف التقاء المصالح والاهداف بين طبقة الاقطاع ورأس المال المستغل فى المجتمعات العربية ، وبين الاستعمار بأنواعه :

القديم والجديد والصهيونى ، فلقد كشف ــ وثورته معه ــ ركيزة ثانية طالما اعتمدت الحركة والدولة الصهيونية عليها .

٣ ـ وحين صفى عبد الناصر ـ وثورته من ورائه ـ مصالح الطبقة لتسود مصالح تحالف قوى الشعب ، وحين رفض طريق التطور الرأسمالى ومضى ينجز فى طريق الاشتراكية ، فلقد كان يقيم ـ فى قلب « المجال الحيوى لاسرائيل » نواة المجتمع العربى القوى القادر • فلا قوة ولا تحضر لمجتمع أغلبيته الساحقة عبيد لا يملكون ، ارقاء لا يتكلمون .

٤ ـ وحين مضى عبد الناصر ـ وثورته معه ـ يقيم اول دولة عربية فى طريق التحول الاشتراكى ، كان يعطى النموذج لما يمكن ان تحققه الارادة الحرة .

٥ ـ وحين تزعم عبد الناصر وثورة يوليو جبهة عدم الانحياز والحياد الايجابى حتى منتصف الستينات ، ورفع عاليا صوت دول العالم الثالث فى عهد الاستقلال الكبير ، وجد عمليا ارادتها فى ممارسة حقها فى المشاركة فى توجيه المجتمع الدولى ، وابقى اسرائيل خارج هذه الجبهة ، فلقد دفعها الى أن تكشف ـ وبسرعة ـ عن موقعها الحقيقى حليفة للاستعمار فى الشرق الاوسط ، وخليفة له فى افريقيا . وحين خاض معاركه بعلاقة صداقة وثيقة مع الاتحاد السوفيتى ، على اساس أهداف مشتركة وليس مذهبا واحدا ، وعلى اساس تعامل من مركز القوة والندية ، فلقد فوت على الصهيونية ما برعت فيه منذ القرن ١٩ من تحالف مع القوى الكبرى فى العالم .

٦ ـ وحين بدأت مصر الثورة تفكر عربيا ، وتعمل عربيا ، وتناضل عربيا ، ربطت النضال الثورى العربى فى مشرق الوطن العربى ومغربه ، وكان ذلك ردا على هدف اقامة اسرائيل لعزل جناحى العالم العربى ، كما كان اضافة حيوية بالعمق الاستراتيجى الضخم لجبهة المواجهة العربية مع اسرائيل ، واذا كان فى مقدور هذه الجبهة المواجهة العربية مع اسرائيل ، واذا كان فى مقدور فى هذه المواجهة ، وهو ما لم تفعله للان ، فان ذلك لا يقلل من قيمة انجاز ثورة يوليو حين شقت طريق العمل العربى الثورى الموحد فى المشرق والمغرب .

٧ ــ وضعت ثورة يوليو ــ وعبد الناصر على قمتها ــ قضية فلسطين فى ابعادها الحقيقية بأن ربطت بينها وبين قضـــايا التحرر الاقتصادى والاجتماعى . فلقد وضعت الصراع العربى فى اطاره التاريخى الصحيح . فهذا الصراع ليس حربا هجومية فقط ، وانما هو ايضا دفاع عسكرى فى كثير من الاحيان مـــع هجوم استراتيجى مستمر على قوى التخلف العربى .

فلان لاسرائيل ــ وفق هذه النظرة التاريخية ــ وعلى ضـــوء الواقع القائم منذ سنوات طويلة ــ هى اقوى المواقع فى جبهة المواجهة الامبريالية فلقد كان توجيـــه الضربات المستمرة ضد الحلقات الاضعف : الرجعية والتجزئة والنفوذ الاجنبى ، خطوات ايجابية فى نطاق الاستراتيجية العامة للمواجهة العربية الاسرائيلية وفى ذلك يقول جمال عبد الناصر أمام مجلس الامة فى ٢٥ مارس ١٩٦٤ :

« ان خطر اسرائيل هو وجود اسرائيل كما هى موجودة الان بكل ما تمثله . وأول ما تمثله ، كما يثبت استقراء التاريخ والتجربة هى انها بغير الاستعمار لا تكون . هى له ولخدمته ولاهدافه فى السيطرة والاستغلال .. ويرتبط بذلك ان وجودها امتداد للوجود الاستعمارى ، وينبع من ذلك أن انتصار الحرية والســـلام فى تصفية الوجود الاستعمارى لا يمكن ان يمضى بغير اثر على الوجود الاسرائيلى »

ذلك هو الحجم الطبيعى للتناقض بين اسرائيل وثورة يوليو ..

وهذا هو العمق الحقيقى لكل من مصادر هذا التناقض . تناقض يبدأ من عند المنطلق (لمن تكون السيادة ؟) ويشمل اسلوب العمل (طريق التحول الاشتراكى والعمل التقدمى أم طريق سيطرة اليمين المتحالف مع الاستعمار بنوعيه الصهيونى والجديد ؟) ثم هو تناقض تمتد ساحة الصراع فيه فوق الاراضى العربيـــة كلها (خلف « الحدود الامنة) ، وفى قلب « المجال الحيوى » لاسرائيل ، بـــل ومن وراء هذا « المجال » وصولا الى « أرض النفط العربى » ! .

ولعل ذلك يفسر لنا الكثير مما واجهناه ـ ولم تزل ـ فى صراعنا مع اسرائيل :

١ ـــ لماذا لم تشهد الخطوط المصرية الاسرائيلية بعد ١٩٤٩ اية اعتداءات اسرائيلية الا فى عام ١٩٥٥ ؟

(حين كانت طاقة القوة الحضارية لمصر قبل ١٩٥٢ محدودة ، ومخنوقة بفعل الظلم الاجتماعى وطريق التطور الراسمالى لدولة تعيش فى عصر الاقطاع .. وحين كانت أبعاد « حركة الجيش » فى مصر ـــ حتى ١٩٥٥ ـــ تبدو وكأنها حركة اصلاحية فقط، ويمثل جلاء الاستعمار البريطانى منتهى أملها ونهاية أهدافها ، وليس بداية ثورتها) .

٢ ـ ولماذا اتخذ دافيد بن جوريون قرار العدوان على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بعد توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر برغم تصريح الرئيس جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ « بأن موقف مصر حيال اسرائيل يتوقف على سلوك اسرائيل تجاه مصر والشعوب العربية الاخرى »

(فلقد كان من بين اهداف عدوان غزة ـــ كما يعترف اهارون كوهين ـ أن تشعر مصر بخطر اسرائيل عليها لكى تعدل عن رفضها الانضمام الى الاحلاف الغربية وخاصة حلف بغداد ..) .

٣ ـــ ثم لماذا كان عدوان ١٩٦٧ على مصر بعد رفض القاهرة لشروط الرئيس الامريكى جونسون التى كانت تدور ـ صراحة ـ حول تصفية عملية التحول الاشتراكى فى مصر وهو ما عبرت عنه مطالب الرئيس الامريكى بتصفية الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتصفية القطاع العام ، وتحديد حد أقصى للموظفين فى مصر وحد أقصى للقوات المسلحة ، وألا يتوقف نشاط مصر الثورى فى المنطقة العربية .

٤ — ولماذا — أخيرا — لم يزل الهـــدف الحقيقى لاسرائيل والولايات المتحدة هو مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟ .

فلقد كان جمال عبد الناصر هو هدفهم المعلن دوما ، وتصوروا ان رحيله فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ قد حقق الهدف الذى طالما سعوا اليه . وهل يمكن ان نطالبهم بأن يعودوا الى قول عبد النـاصر الذى طالما كرره :

« أن الثورة ليست مسألة فرد او جماعة افراد ؛ ولكنهـــا ثورة شعب صمم على استعادة ارادته وكرامته .. » . « أن الشعب هو العلم ، وهو القائد ، وهو الخالد ابدا » .

أن نظرة على مصادر التناقض بين اسرائيل الهدف ، واسرائيل الحركة ، وبين ثورة ٢٣ يوليو تجيب على هذه التساؤلات وعلى المزيد .

ولقد قال جمال عبد الناصر :

« أن النصر عمل ، والعمل حركة ، والحركة فكر ، والفكر فهم وايمان ، وهكذا فكل شىء يبدأ بالانسان » .

من سوريا .. إلى ليبيا

هذه محاولة لبلورة خلاصة تجربة ثورة ٢٣ يوليو فى الطريق الى تحقيق الوحدة العربية . فالقضية مطروحة اليوم مـــع مقدمات التنفيذ العملى للوحدة المصرية الليبية ، وانشغال اعضاء الجمعية التاسيسية من ممثلى الشعب العربى فى البلدين فى وضع دستور الدولة الجديدة .. وخلاصة تجربة ثورة يوليو تتمثل فى نهاية الامر فى فكر قائدها الذى تشكل من التزاوج العضوى بين الاهـــداف القومية والممارسة الثورية فى الواقع العربى .

فالموضوع وبتحديد شديد هو تطور فكر عبد الناصر من وسائل وشروط بلوغ الاشكال الدستورية للوحدة : من الاتحاد الكونفدرالى الى الوحدة الشاملة .

.. المقال اذن جزئية فى موضوع كبير .

مقال بجريدة الاهرام بتاريخ ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٢ م

الحديث عن الجزئية يستوجب ابتداء تحديد مكان هذه الجزئية على خريطة الفكر الناصرى من قضية الوحدة العربية ، التى تتمثل ابرز التضاريس فيها فى مجموعة من النقاط المبدئية :

١ ــ ان القضية الوطنية هى مدخل فكر ثورة ٢٣ يوليو الى الوحدة العربية . والوحــــدة فى ذلك شأنها كشـــــأن التطبيق الاشتراكى وعدم الانحياز وغيرهما من اساسيات الفكر الناصرى.

« فايماننا ــ كما يقول عبد الناصر ــ ان الوحدة العربية هى أعلى مراحل الوطنية العربية واعـــز غاياتها . فهى مفتاحها الى القوة ومفتاحها الى الحياة » .

ويصل عبد الناصر الى النتيجة :

عربية ؟ لماذا لاتهتم مصر بنفسها ؟ ولكننى أؤمن بأى كفاح مصر هو كفاح الامة العربية . لان كفاح الامة العربية هو كفاح مصر .. ان مصر اذا تقوقعت على نفسها فسوف نسقط جميعا تحت قبضـــة الاستعمار الجديد الذى يريد ان ينفرد بنا دولة دولة » .

والوحدة ــ على حد تعبيره فى ٢١ فبراير ١٩٦١ ــ ليست الا ثورة تحررية كبرى ، وثورة سياسية وثورة اجتماعية ، تهدف الى التخلص من الاستغلال بكل معانيه سواء الخارجى أو الداخلى ، سواء الاستغلال السياسى او الاقتصادى أو الاجتماعى . وهى فى نفس الوقت « البديل للانحياز » .

وفى ٦ نوفمبر ١٩٦٨ يقول عبد الناصر فى اللجنة المركزية :

« ان دورنا العربى هو قدرنا . احنا الشعب الموحد والشعب الكبير والدولة الكبيرة . ايضا الشعوب العربية موقفها منا واضح حتى شعب فلسطين خرج يتحدى الاسرائيليين بالهتاف للجمهورية العربية المتحدة » . هذا مصدر قوة ضخمة لنا فى نضالنا . يـــوم ما رحت السودان فى مؤتمر الخرطوم لم احدد ميعاد وصولى .

وصلت المغرب . كانت الخرطوم كلها من الصبح على الطريق . طلعت مجلة « نيوزويك » الامريكية تقول « شعب السودان يهتف للمهزوم ! » فى تونس تحدوا الحكومة رغم النكسة وطلع الشعب يقف معانا ودلوقت بيحاكموا الطلبة . ده موقف أخلاقى ومبدئى من جانب الشعوب العربية يتساوى مع موقفنا منهم . وهم ذخيرتنا فى المعركة » .

٢ — ان الايمان بالوحدة العربية مطلق والعمل من اجلها رسالة مقدسة ، ولا يجوز — متى توافرت ظروفها الموضوعية — أن يقف دون تحقيقها عائق . فالوحدة عند عبد الناصر تتويج للاهداف الوطنية والقومية فى ارتباطها وتكاملها . وفى مباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق عام ١٩٦٣ ، نجد عبد الناصر يلح على مناقشة قضية الوحدة بموضوعية وبصرف النظر عن الاشخاص دورهم — فيقول فى ١٦ مارس :

« أقسم اننى مستعد لاقامة الوحدة بغير عبد الناصر ، وانا الذى سوف أوقعها ، وسيؤيدها عبد الناصر من هنا ، من مصر ، بكل دمه وبكل روحه ، لانه كلما تم التركيز على شخص فذلك خطر فى النهاية على القضية القومية . الشخص غير دائم بيفعد سنة ، اثنين ، ثلاثة ، كل فرد زائل والقضية هى التى تبقى » .

وحين وصل النقاش قرب ختام هذه المباحثات الى اختصاصات رئيس الجمهورية ، قبل عبد الناصر على الفور المشروع السورى المقدم فى ذلك ويقول عبد الناصر فى معرض النقاش :

« شوف .. انا مستعد اقبل كل حاجة عدا ان يعتقل رئيس الجمهورية منذ فترة انتخابه الى انتهاء مدة ولايته ! بس دى اللى ما كنتش هاقبلها !! » .

وفى اجتماع بين أعضاء الوفد المصرى فى هذه المباحثات ، أبدى الاعضاء معارضة شديدة للمشروع السورى بخصوص

اختصاصات رئيس الدولة ، وحاولوا أن يسندوا حجتهم امـــام عبد الناصر بأن فى ذلك انتقاصا من شأنه وحسم عبد الناصر الموقف :

« ماذا يقول التاريخ عنى اذا جعلنا مباحثات الوحدة الثلاثية تتعثر ، وتفشل لان عبد الناصر أراد صلاحيات أوسع من المقترحة ! هل تفشل اقامة دولة الخمسين مليونا التى تتعلق بها آمـــال وعواطف العرب جميعا ، ويتوقف عليها المستقبل العربى ، تمسكا بنصوص او صلاحيات ؟ أما عن حجة أن المشروع فيه انتقـــاض من قدرى فهذا الكلام ارفضه كأساس للمناقشة . فقدر كـــل انسان رهن باخلاصه من وراء المبادىء التى يلتزم بها ويعلنها . ثم اننى لا اتصور أن مسائل شخصية كهذه تدخل فى الحسبان حين نبحث مصير شعوب ومصير أمة » .

وفى صيف ١٩٦٩ كان على مائدة عشاء الرئيس جمال عبدالناصر عـــــدد من المسئولين السوريين على أعلى مستوى .. ومرج الحديث الى موضوع الوحدة العربية ، فقال الدكتور سامى الدروبى « اننا نتحدث عن حتمية الوحدة بينما نحن نسير على طريق حتمية الانفصال ، ونظر اليه عبد الناصر مستفسرا ، فمضى سفير سوريا السابق فى مصر يقول : « قبل اكتشاف البترول فى ليبيا — مثلا — كانت فكرة القومية العربية والوعى القومى العربى فى ليبيا اقوى منها فى عديد من الدول العربية الاخرى . وكان لحزب البعث تنظيم قوى فى ليبيا ، وتوافق ذلك مع مرحلة كان فيها الحزب حزبا قوميا عربيا قبل ١٩٥٢ . ولكن ما هى الصورة هناك الان ؟ هجر البعثيون فى ليبيا بعد اغتنائها النضال من اجل القومية العربية وانشغلوا فى حساب مصالحهم الذاتية ، لان القومية العربيـــة تتعارض مع مصالحهم وتهددها ، ! » .

وفى أواخر سبتمبر ١٩٦٩ — بعد أيام من ثورة الفاتح فى ليبيا — كان سامى الدروبى عند جمال عبد الناصر . وبادره عبد الناصر بقوله :

« هل ثبت لك الان خطأ نظريتك ؟ انكَ كما عرفتكَ من سنوات من اكثر العناصر العربية إيمانا بالوحدة العربية ، ولكن ما اغفلته فى تقديرك هو ان هناك دائما طليعة ثورية تعى المصالح الحقيقية والبعيدة لوطنها وتتجاوز اية مصالح جزئية أو شخصية ، وترتبط بالآمال العريضة للجماهير الواسعة ، وتشكل ايديولوجيتها على ضوء هذا الوعى الطليعى . والمصالح الخاصة بعد ذلك — شخصية او حزبية — يتأكد كم هى هشة ، ! » .

٣ — ان وحدة العمل الوطنى والقومى تصبح فى النتيجة المنطقية يكون الوطنية المصرية من المداخل الاساسية الى الوحدة العربية ، وما يترتب على ذلك من تكامل بين الاهداف الوطنية والقومية ، وبحسم ازدواجية الاهداف الوطنية والقومية ، وازدواجية العمل وطنيا وقوميا بالتبعية ، سد الفكر والتجربة الناصرية المدخل التقليدى لسيطرة تحالف الرأسمالية والاقطاع ، وجعلت من مصر « الدولة النموذج » ، والتجسيد العملى للاهداف القومية للامة العربية . فصارت كل خطوة الى الامام فى المجال الوطنى المصرى دفعة ضخمة — فى ذات الوقت — للامة العربية على طريق اهدافها النهائية .

الطريق الى الوحدة :

وبعد هذا التحديد السريع لبعض من تضاريس خريطة الوحدة فى الفكر الناصرى ، نصل الى هذه الجزئية المطروحة بالحاح اليوم : الطريق الى الوحدة الدستورية .

ولقد تطور مفهوم الوحدة فى مصر الثورة ما بين ٥٢ الى ١٩٥٨ . ويقول عبد الناصر :

« فى ١٩٥٤ كنا نعتبر أن الوحدة العربية هى انه لما تحصل حاجة فى دمشق بتقوم مظاهرات مؤيدة فى القاهرة . كانت الوحدة بالنسبة للقاهرة حينئذ هي التضامن العربى . وتطور الموضوع

من ١٩٥٥ الى ١٩٥٨ وتحـــول شعار الوحـــدة الى الوحد الدستورية » .

ولا شك أن الوحدة المصرية السورية هى أغنى التجـــارب الوحدوية العربية .

ويقول عبد الناصر فى بيانه يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٥ عقب الانفصال:

« وانى لاثق ، نفس ثقتى بالله ، أن هذه التجربة لن تكون الاخيرة ، وانما كانت تجربة عملية رائدة ، استفدنا منها الكثير فى تقديرنا وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربى ، وللوحدة العربية التى أشعر أن ايمانى بها يزداد صلابة » .

الا أن الاضافات الكبرى لهذه الوحدة ــ فى تقديرنا كـــانت فى مجال « الطريق الى الوحدة » ، بأكثر مما كانت فى « مفهوم الوحدة » . ذلك أن المفهوم التقدمى للوحدة العربية لم يبدأ عنـد عبد الناصر بعد الانفصال ، وانما بدأ من قبل ذلك . ففى ٢٢ فبراير ١٩٥٩ مثلا يقول :

« أن طريقنا ــ طريق الوحدة ــ هو طريق التطور ، وطريق العدالة الاجتماعية طريقنا لاقامة مجتمـــع اشتراكى ديمقراطى تعاونى ، انما هو طريق شاق .. ولابـد أن تسير الديمقراطيـة السياسية جنبا الى جنب مع الديمقراطية الاجتماعية » .

اضافات تجربة الوحدة مع سوريا اذن كانت فى شروط الوحـدة ، والطريق الى تحقيقها . وأبرزت على وجه الخصوص « اننـــا أخطأنا حين أمنا الى الرجعية ، وخدعنا بالرجعية ، واعتقدنا أن الرجعية يمكن أن تستكين » . ولم تكن مصادفة أن ترتيب أهداف النضال القومى وردت فى الميثاق كما يلى :

الحرية ـ الاشتراكية ـ الوحدة .

لا اجـــازات !

واذا كانت اسباب نكسة الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ تحتاج وحدها الى دراسة منفصلة فلقد تبلورت دروسها ـ وهو ما يهمنا بالدرجة الاولى فى هذه الجزئية التى نحن بصددها ـ بعد ١٩٦١ ، فى الميثاق الوطنى ، وفى احاديث وتحركات عبد الناصر على طريق الوحـدة العربية ، الذى بـدأ من جـديد منـذ عـام ١٩٦٣ حين جـاء حزب البعث فى العراق وسوريا يعرض مشروعا بالاتحـاد مع مصر . ودخل عبد الناصر التجربة الجديدة ، بمفاهيم أكثر تحديدا فى سبيل الوصـول الى الهدف ، ولكن بنفس الايمـان بقدسيته . فلم تكن نكسـة الانفصـال بالنسبة له نهاية وانمـا بداية لمرحلة جديدة ، وهـو يقول فى ١٦ أكتوبر ١٩٦١ :

« انى لاسمع من بعض الناس أن هذا الجيل من الامة العربية قد تحمل مسئوليات فى النضـال تنوء بهـــا أجيال ، ولكن دعونى أذكركم جميعا ، انه ليس أمامنا من سبيل الا أن نستمر فى ثورتنا الى نهايتها ، وحتى تحقق أهدافها . فان الثورات الشعبية لا تعرف الاجازات ، واذا توقفت الثورة الشعبية قبل بلوغ أهدافهـــا فلابد أن تنتكس وتجد نفسها مرغمة أمام أعدائها على أن تسلم لهم بما حصلت عليه من انتصارات مرحلية فى فترات النضـال ، ثم يتعين عليها بعد ذلك أن تبدأ الطريق من أوله » .

ويمكننا متابعة أبرز تحركات عبد الناصر على طريق الوحـدة الدستورية ، وتحديده لملامح هذا الطريق ، من تتبعه فى مرحلتين محددتين : مباحثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ ثم مباحثات ميثاق طرابلس سنة ١٩٦٩ .

المباحثات الثلاثية :

وخلالها برزت الملامح التالية للطريق الى الوحدة الدستورية :

١ ــ وحدة الهدف : فيقول عبد الناصر :

« ان الوحدة العربية تبدأ بالتلاقى بين حكومات عربية وطنية اصيلة فى سعيها نحو الوحدة أو الاتحاد . والوحدة العربية التى تجمع بيننا · بين الأحرار فى جميع انحاء الوطن العربى ، هى وحدة الهدف التى تجمع الشعوب المناضلة » .

٢ ــ وحدة الفكر والمفاهيم : ويقول عبد الناصر :

« الحقيقة موضوع الوحدة ما هواش موضوع الدستور ، دستور الوحدة ده اسهل شىء فى الوحدة ويجب أن يكون هو المتوج للعملية اللى هى الوحدة الحقيقية بين أفكار اللى عايزين يتحدوا . اذا بدأنا بالدستور بدون ما نجد الحل الصحيح لكل الاسئلة الاخرى ، يبقى كل اللى عملناه حطينا راسنا فى الرمل وأجلنا جميع مشاكلنا لما بعد قيام الدولة » .

ويقول :

« دولة الوحدة يجب أن تكون فى بنائها قوية راسخة لتواجه كل التحديات امامها يجب أن تكون قوية داخليا وخارجيا ، ولنصل الى هذا لابد أن نعرف ما هو مفهومنا للوحدة ؟ وما هو مفهومنا للحرية؟وما هو مفهومنا للديمقراطية ؟ وما هو مفهومنا للاشتراكية؟ على أساس أن بعد كدة ما نجدش أنفسنا داخلين فى تناقضات أو مشاكل ، ويقول عبد الناصر :

« لابد من وحدة المفاهيم نظريا وتطبيقيا ، وهذا يستدعى وجود شىء قد نعبر عنه بميثاق أو منهج ، نشرح فيه تصوراتنا للشعارات ، والا كل واحد فينا هيقعد يقول حرية واشتراكية بالكدب . واذا كانت الاشتراكية شعار يرفع وبس تبقى انتهازية سواء فردية أو حزبية » .

٣ - وحدة العمل السياسى : وفيها يقول عبد الناصر :

« لو البعث فى العراق ، والبعث فى سوريا وحزب ثانى وى القوميين العرب . والاتحاد الاشتراكى فى مصر ، ويكون ده هو الاساس اللى هتمشى عليه الوحدة فانها لن تستمر . لذلك باقول لابد من تكتل الاتجاه القومى كله فى كل بلد ثم الكل مع بعض . بذلك الواحد يجب يهد الوحدة يبقى بيهد نفسه »

٤ - ضمان استمرار السلطة فى خدمة الثورة : فيقول عبد الناصر : »

« كل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هـــذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الاهداف الشعبية . هذه أكبر مشكلة .. لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد انهــا حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ عليها ابدا . ليه ؟ فى رايى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة :

مثلا ما هو الخلاف الاجتماعى ؟ ما هـــو التناقض الطبقى ؟ ما هو التمزق الذى يمكن أن ينتج عن تدخل الدول الاستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

السلطة فى النهاية هى الهدف الذى تريــد هــذه الخـلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الامور لمصالحها ، فى مصر احنا اجتزنا عقبات كثيرة قوى ، وقابلنا مراحل أرادت الرجعية فيها أن تستولى على السلطة وكانت اقرب ما تكون من ذلك سنة ١٩٥٤ . وحصـــل تحالف بين الرجعية وبين الشيوعية وكادت الرجعية أن تستولى على السلطة فى ازمة معروفة هى ازمة محمد نجيب . وهذه الازمة فى الواقع كانت ازمة المسئولية الثورية قبل اى شيء آخر . اخذت القوى المعادية هذه الازمة وسيلة للاستيلاء على السلطة لحساب الرجعية وهدم الثورة .

٥ ــ الاجماع الشعبى : فيقول عبد الناصر « اننا نؤمن بأن الوحدة ينبغى ان تكون تطورا دائما ولا يجب أن تتم بالانقلاب . وعلى هذا الاساس فاننا نناصر كل وحدة عربية الى أى مدى ، والى اى درجة ، يتفق عليها اجماع اى شعب عربى مع أى شعب عربى آخـــــر » .

٦ ــ رفض تكريس الانفصال باسم الوحدة : ويقول الرئيس :

« اذا اقمنا وحدة كل مقوماتها علم واحد ورئيس واحد ، وبعد كدة هذه الدولة تكون مهلهلة ، فهذا تكريس للانفصال وتغليف له . بكدة نبقى بنعرض قضية الوحدة ــ القضية القومية ــ لخـــطر كبير جدا » .

٧ ــ فترة الانتقال : ويقول الرئيس :

« نحن مع الرأى الذى يرى تقصير فترة الانتقال . كلما طالت هذه الفترة فهناك احتمال تعرض بعض الدول لمتاعب داخلية بسبب الصراعات المحلية الحزبية والشخصية ! .

ميثاق طرابلس

ثم نصل الى آخر مراحل عبد الناصر على طريق الوحــــدة الدستورية ، التى شهدت آخر التجارب الوحدوية التى أدارها .

وقد تركزت الجلسات الاولى التى سبقت اعلان هذا الميثاق ، حول تبادل تصورات الثــورات الثــلاث : ٢٣ يوليو (مصر) ، والفاتح من سبتمبر (ليبيا) ، و مايو (السودان) ٠

وكان تركيز جمال عبد الناصر على مجموعــــة من النقاط من بينها :

١ ــ الرفض المطلق للحزبية والاصرار على وحدة العمــــل السياسى :

وفى هذا الخصوص روى عبد الناصر للقذافى ونميرى تفاصيل تجاربه الوحدوية مع قيادات الستينيات فى حزب البعث . من أول تأييد هذه القيادات للانفصال من قبل وقوعه بحوالى العامين حين قدمت استقالتها من حكومة الوحدة ، الى خروجها يوم ١٨ ابريل ١٩٦٣ — فى ثانى أيام توقيع اتفاقية القاهرة للاتحاد الثلاثى — لتعمل ضد هذا الاتفاق .

٢ — ان دول ميثاق طرابلس لا تشكل به محــــورا فى المنطقة العربية ، وانما هو على حد ما ورد فى هذا الميثاق فيما بعـــد « جبهة عربية ثورية ... وضرورة تاريخية فرضتها قيام الثورات فى كل من السودان وليبيا لتلتقى بالثورة المصرية الرائدة وذلك انطلاقا من ان قيام هذه الثورات الشعبية قد حقق تحالفا ثوريا يرتبط جزئيا وروحيا بحركة النضال الشعبى العربى وتطلعاته الى هزيمة مخططات الاستعمار الحديث والصهيونية ، ووصولا الى تحقيق التغيير الاجتماعى والتقدم والاشتراكية لمصلحة الجماهير العربية ، الامر الذى يوفر الشروط الموضوعية لتحقيق الوحــدة العربية » .

٣ — أن الشعب العربى فى الاقطار الثلاثة يجب ان يتأكد دوره القيادى فى عملية الوحدة منذ أول ايامها ، وان تشـــكل مجلس تشريعى منتخب من ٣٠ عضوا من كل قطـــر يقود الخطوات التنفيذية للوحدة .

٤ — التدرج نحو الوحدة ، ولقد كـــان ذلك استجابة لطلب السودان ، وكانت تلك النقطة بالذات موضع اعتراض شديد من الوفد الليبى . ويوم مناقشتها بدا الوفد السودانى متحرجا من الحــديث عن ضرورتها بالنسبة لظروف السودان ، فتحدث جمال عبد الناصر وشرح لمعمر القذافى بتفاصيل اذهلت الوفـــد السودانى نفسه عن الوضع الداخلى فى السودان ولماذا يحتـاج

السودان الى بعض الوقت ليرتب أوضاعه الداخلية وخاصة بالنسبة للحزبية ودور الحزب الشيوعي ، والتحدي اليمينى الرجعي .

ولقد كانت مرحلة ميثاق طرابلس ، والوحدة العربية بين القطرين المصرى والليبى المطروحة اليوم بالذات ، هى أقل التجارب الوحدوية صعوبة من حيث الطريق الى تحقيقها وأكثر هذه التجارب أمنا من حيث ضمانات استقرارها .

فبين ثورة يوليو وثورة الفاتح تجد وحدة الهدف قائمة من أول أيام الثورة الليبية ، ووحدة المفاهيم والتصور مكفولة بحكم التزام ثورة ليبيا الذى اكده معمر القذافى مرارا ، بالميثاق الوطنى للقوى الشعبية . ووحدة العمل السياسى أكيدة من حيث التزام الثورتين بالاتحاد الاشتراكي العربى صيغة للعمل السياسى ، وضمانات استمرار السلطة فى خدمة الثورة أمر واقع يتاكد كل يوم فى ليبيا .

قرار بوحدة فورية

ولقد يثور تساؤل ، لماذا رات مصر اذن — فى مرحلة ميثاق طرابلس — ان تكون الوحدة على مراحل ؟

والاجابة : ذلك كان لظروف السودان بالدرجة الاولى ، ولافراط عبد الناصر فى الحرص على ثورة ليبيا .

فالتركيز الاستعمارى الصهيونى على مصر بلغ الذروة من بعد ١٩٦٧ أملا فى تحقق النتائج السياسية لهزيمة ٥ يونيو واتمام الوحدة سوف يمد هذا التركيز الى ليبيا ويضاعف ما تتعرض له بالفعل من يوم ثورتها .

وربما أيضا لانه يمكن لليبيا بغير اعلان رسمى للوحدة ، أن تقدم لمصر الثورة ما قد لا يكون ممكنا بعد الوحدة : فاذا كانت ظروف ما بعد ١٩٦٧ قد فرضت على عبدالناصر حدودا معينة ـ ومؤقتة ـ فى ادارة الثورة الاجتماعية على المستوى القومى فان صوت ليبيا ـ بغير الوحدة ـ يمكن ان يكون تعويضا ولو جزئيا .

واذا كانت بعض نوعيات السلاح الذى تحتاجه مصر من الغرب متعذرا بالنسبة لها فان ليبيا من خارج الوحدة تستطيع ان تقدمه لهـــا .

ذلك كله جـــائز .

ولكن الاكيد ايضا ان عبد الناصر ـ بعد مباحثات ميثاق طرابلس وفى يونيو ١٩٧٠ تحديدا ـ اتخذ فى يوم قرارا بالوحدة الفورية مع ليبيا .

كان ذلك خلال احد اجتماعاته المتعددة مع أعضـــاء مجلس الثورة الليبية ، كان الاجتماع فى بنغازى ، وكان هناك وفد سورى يشارك فى الاجتماع برئاسة الدكتور نـــور الدين الأتاسى رئيس الدولة حينئذ . وموضوع النقاش كان حول توقيت اعلان الوحدة وفترة انجازها .. وفى هذا الاجتماع قرر عبد الناصر اعـــلان الوحدة مع ليبيا وسوريا فورا .. يومها شعر عبد النـــاصر أن المصلحة العليا للثورة الليبية تحتم عليه اتخاذ هذا القرار .

واتفق فى نهاية هذا الاجتماع الذى امتد حتى تباشير الصباح، على أن يستقل جمال عبد الناصر ومعمر القذافى ورئيس الدولة السورية : طائرة فى نفس اليوم الى دمشق . وان يعلن عبدالناصر الوحدة من شرفة قصر الضيافة هناك .

ولكن هذا المشروع العظيم لم يتح له التنفيذ ففى الصـــباح عرض وفد سوريا أن يسبق أعضاؤه بالسفر إلى دمشق لعمـــل الترتيبات اللازمة . ولكن أول برقية خرجت من دمشق بعد وصول الوفد اليها كانت تحمل فى طياتها استئذانا بالتأجيل !!

ذلك أكيد نقول :

وأكيد أيضا أن الوحدة العربية ليست نزهة : الطريق اليها ليس مفروشا بالورود . والتجارب السابقة لثورة يوليو تؤكد انه كلما اقتربنا من الوحدة وكلما اقترب الامل من الواقع ، زادت ضراوة القوى المعادية ، ولكنها معادلة صعبة :

فالاعداء شرسون ، ولكن فى نفس الوقت فان الوحدة العربية هى طريقنا للخلاص مما نحن فيه .

ولسوف يحاول أعداء الوحدة العمل ضدها على مستويين :

١ ـ العمل من الداخل ، وذلك بدأ بالفعل . واللافت للنظر فى هذا المجال أن الحملات التى تشن لتعميق المشاعر الاقليمية ، وبذر الشكوك ، تستخدم نفس الحجج التى استخدمت ضد وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ . الوحدة « ابتلاع » مصرى لليبيا ، الوحدة « امبراطورية » تريدها مصر ، الوحدة « حكم » مصر لليبيا ـ الوحدة « غزو » مصرى لليبيا ـ الوحدة « إثراء » لمصر بسبب ازماتها الاقتصادية !

نفس الحجج ، ونفس الكلام ، وكان أعداء الوحدة لم يكلفوا أنفسهم أكثر من فتح الملف القديم الذى اغلق بعد انفصال عام ١٩٦١ !

وكان جمال عبد الناصر مدركا لذلك كله . وكانت حساسيته فائقة حرصا على الوحدة وفى أحد الاجتماعات بين رؤساء مصر وليبيا والسودان التى ناقشت الخطوات التنفيذية للتقريب بين الأقطار الثلاثة ، تقدم الوفد السودانى باقتراح انشاء بنك برأسمال مشترك (٧ ملايين جنيه من كل دولة بعملتها المحلية) لتمويل المشروعات الوحدوية .

ورفض جمال عبد الناصر الفكرة على الفور . وقال معمر القذافى بالاخلاص كله : « ولماذا لا نقيم هذا المصرف ؟ ان أحدا لن

يستطيع ادعاء أن مصر وراء ثروات ليبيا فنحن نعلم أن ليبيا مدينة حتى الآن لمصر بملايين الجنيهات قيمـــة الدعم الذى قدمته ــ عسكريا ــ لنا منذ قيـام الثورة » ٠

واجاب عبد الناصر :

« ذلك نعرفه نحن » ولكن ورائى خبرة سنوات الوحدة مع سوريا . ان البعض فى العالم العربى لا يدرك الى الان أن الوحدة لا تحقق مصلحة دول عربية على حساب دول عربية أخرى انهم لا يدركون أن الدول ذات الارصدة السائلة الضخمة مثلها كمثل من ورث ثروة طائلة ومضى بالوقت يبددها وانه فقط بالوحـــدة العربية ، فان هذا الوارث ، يشغل أمواله فتزداد وتتضاعف ويضمن استمرارها » .

٢ ــ العمل من الخارج ، ولقد كان جمال عبد الناصر يشير احيانا الى تجربة مصر فى منتصف القرن ١٩ حين تكالبت عليها الدول الكبرى ، وفرضت عليها معاهدة لندن عام ١٨٤٠ لما وجدت أنها تحقق صورة من صور الوحدة العربية ، وكان هدف القوى الكبرى كما أعلنوه فى ذلك الوقت هو « ابقـــاء مصر فى حجمها الطبيعى » !!

ولكن عبد الناصر ايضا كان يقول :

« أن الوحدة العربية ستحارب من الاستعمار الجديد لخطرها على مصالحه وكلما اقتربنا منها فيجب أن نتوقع مزيدا من شراسة التآمر عليهـا ، ولكن ذلك لا يجب ان يثبط عزيمتنا : فمصيرنا مرتبط بهـا ٠ وامتلاكنـا لارادتنـا يتوقف عليهـا ، ولا يجب أن نؤخر شروعنا فى العمل من اجلها ، فكلما تأخرنا اصبح قيامها اصعب اذ تنشأ مصالح اقليمية متضاربة ، ومتعارضة ، وتتغذى المشاعر الاقليمية ، وقـــد تنشـأ ايديولوجيات اقليمية يستميت الاستعمار لنشرها فتكبر كقضية ، والاسراع لا يتعارض مع حساب خطلنا على طريق الوحدة ليكون خطرها على ارض صلبة » .

ان تجارب ثورة يوليو على طريق الوحدة الدستورية من سوريا الى ليبيا يؤكد أن الوحدة المصرية الليبية هي أقل التجارب صعوبة واكثرها أمنا من حيث ضمانات استمرارها . فما من وحدة متوافرة شروطها ، ومتكاملة عناصرها ، يمكن أن تتم بين بلدين عربيين . مثل الوحدة بين مصر وليبيا .

ولقد نضيف الى ذلك أن هذه الوحدة المتاحة أمامنا اليوم ، بما ستنتهى اليه ، ووفق أسلوبنا فى تناولها ، ستحسم — بالسلب أو الايجاب — اندفاع الشعوب وايمانها بالوحدة العربية .

وانه على هذه الوحدة بين ثورتى يوليو والفاتح من سبتمبر تتوقف الى حـــد بعيد قدرة القوى العربيـــة الثوريـــة على استمرار نضالها وبقائها .

وحين يكون الحديث عن الثورة والقوى الثورية ، فهو حديث عن مسئولية المستقبل .

رقم الايداع ٢٤١٣/١٩٨١

دار الموقف العربي
للصحافة والنشر والتوزيع

الغلاف : محمود الهندى